مجلة العلوم العربية والإنسانية | E-ISSN : 1658-9602 |
جامعة القصيم، المجلد الالكتروني (١)، العدد (٤)، ص ١٥٦٥-١٦٣٧، (شوال ١٤٤٤ هـ/ أبريل ٢٠٢٣) المجلد العام (١٦)

الحجاج النبوي في قصة آدم وموسى عليهما السلام

د. زينب بنت عبداللطيف كامل كردي
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي -كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(قدم للنشر في ١٤٤٣/٨/٢٥ هـ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٥/١٠ هـ ونشر في ١٤٤٤/١٠/١هـ)

ملخّص البحث:

تتناول هذه الدراسة الحِجاج النبويّ في قصّة آدم وموسى عليهما السلام، وجاءت في تمهيد ومبحثين وخاتمة. تناول التمهيد مفهوم الحِجاج، والقصّة في الحديث النبويّ، موردًا نصّ الحديث، ومحلِّـيًا مسألة الاحتجاج بالقدر فيه. وعرض المبحث الأول: منطلقات الحجاج النبويّ في القِصّة، وحلّل المبحث الثاني بنية الحِجاج فيها، وكشف المبحث الثالث عن تقنيات الحِجاج فيها. وخَلَصت الدراسة إلى نتائج منها: تكامُل منطلَقات الحِجاج النّبويّ في قصّة آدم وموسى؛ إذ وظّفت المنطلَقات بطريقة إقناعيّة فذّة أخذ بعضها بِحُجز بعض في ترابط عجيب. وتميُّز بنية الحِجاج في القصة بتماسك وإحكام يسهم في صناعة الإقناع الخِطابيّ، وتجلية القضيّة بجوانبها المختلفة، وتجنيد أقصى طاقات الإقناع والسّرد لتحقيق الغاية التواصلية بأسمى المعاني، وأرقى الدلالات. وظهور تقنيات متنوِّعة من الِحجاج النَّبويّ، عمادها احتواء الخلاف بين الأطراف المتغايرة، من حيث سموّ اللغة، وجمعها بين الإقناع والإمتاع.

الكلمات المفتاحية : بلاغة، نبوية، حِجاج، سرد، قصة، آدم، موسى.

The Prophetic Argument in the Narrative of Adam and Musa (a.s.)

Dr.Zainab Abdullatif Kamel Kurdi

Co-professor Department of Rhetoric, Criticism and Curriculum of Islamic Literature Faculty of Arabic Language
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Received on 25-8-1443 AH Accepted on 10-5-1444 AH Published on 1-10-1444 AH

Abstract:

This study addresses the prophetic argument in the narrative of Adam and Musa (a.s.). This study consists of introduction, two chapters and a conclusion. The introduction addresses the definition of argument and the narrative in Hadith, providing the text of the Hadith and clarifying the matter of argument by destiny. The first chapter presents: the premises of the prophetic argument in the narrative. While the second chapter analyzes the structure of the argument in this narrative. The third chapter evokes the techniques of the argument. The study concludes some results, including.

1.The integration of the premises of the prophetic arguments in the narrative of Adam and Musa (a.s.) as the premises are utilized in a unique persuasive manner. They were all connected in an extraordinary cohesive manner.

2. The structure of the argument in the narrative is distinguished by its coherence and cohesion that helps in rhetorical persuasion, the elaboration of the issue in its various aspects, and the utilization of the tools of persuasion and narration in order to achieve the communicative goal with the most meaningful sense and the idealist indications.

3.The emergence of various techniques from the prophetic argument, depend on narrowing gap of dispute between different parties in terms of the sublimity of language and its combination of persuasion and enjoymen.

Key words: Rhetoric, prophetic, argument, narration, narrative, Adam, Musa.

المقدّمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. جعله حُجّة على العالمين، ومثلاً أعلى للحِجاج الرصين، والقول المبين. منحه من البيان أعلى الأسباب، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب. والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛ فالحِجاج جانب مهمّ في البلاغة والتواصل، وتزداد أهميته حين يسلّط الضوء على موضوعٍ تآزَر في بيانه الكتاب والسُّـنَّة؛ هو موضوع الاحتجاج بالقضاء والقدر على الذنوب والمعاصي الذي ظهر في صورة بيّنة للحِجاج، ضمّها حديث شريف نقل قصّة محاجّة نبويّة، عمادها حوار جرى بين أبي الأنبياء آدم، وكليمِ الله موسى، عليهما السلام. صُـرِّح فيه بألفاظ المحاجّة، وذُكِر المحجوج، ليتجلّى المغزى التواصليّ الذي هو مناط الدراسة.

أهمية الدراسة:

تمدّ الدراسة المتخصِّصين في البلاغة بموضوع يستشرف آفاق الحجاج النبويّ، ويبرز مرتكَزاته، وسماته التداولـيَّة في الإقناع، كما تخدم المؤسسات التعليميَّة المهتمَّة بالحجاج والبلاغة، والحوار والتواصل، باستلهام أساليبه الحوارية في إطار يرسّخ الآداب، ويعزِّز القيم الخِطابية، لتكون مثلاً يحتذيه الدُّعاة والمهتمُّون بالتواصل في مختلِف المجالات، ويقتفي أثرَه كلُّ مسلم يتطلَّع إلى فَهم آفاق الحديث النبويّ الشريف مستروِحًا بليغ أساليبه القَصصيّة الحجاجيّة. مع ترسيخ ثقافة التواصل عن طريق مدِّ المكتبة العربية والإسلامية بدراسة تسلِّط الضوء على أرقى مقامات التواصل الحجاجيّ الذي يكشف الحقائق، ويفنِّد الشُّـبُهات بعيدًا عن العنف والتطرُّف.

أهداف الدراسة:

تناولت الدراسة قصّة المحاجّة بين آدمَ وموسى -عليهما السلام - سعيًا إلى تحقيق ما يأتي:

١. إبراز منطلَقات الحِجاج النبويّ في القصّة.
٢. تحليل بنية الحِجاج في القصّة.
٣. استنباط تقنيات الحِجاج في القصّة.

أسئلة الدراسة:

تجيب الدراسة عن سؤال رئيس هو:

كيف تجلّى الحِجاج النبويّ في قصّة آدم وموسى؟

وتتفرع عنه التساؤلات الآتية:

١. ما منطلَقات الحِجاج النبويّ التي تجلّت في القصّة؟
٢. كيف ظهرت بنية الحِجاج فيها؟
٣. ما هي تقنيات الحجاج التي تآزرت لإظهار المقام الحِجاجيّ؟

خطة الدراسة:

انتظمت الدراسة في تمهيد وثلاثة مباحث. تناول المبحث الأول منطلَقات الحِجاج النّبويّ في القصّة، وكشف الثاني عن بنية الحِجاج فيها، وأبرز الثالث تقنيات الحِجاج التي تآزرت لإظهار مقام التواصل.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة عند مقاربة القصّة وتحليلها المنهجَ الحِجاجيّ الذي يعدّ بابًا مهمًّا في المنهج التداوليّ مقرونًا بالاستنباط والتحليل، بالنظر في سياق القصَّة، وتجلية منطلقات الحجاج، وبنيته وتقنياته.

وبعد، فأسأل الله التوفيق والسداد، وأستغفر الله مما ندّ به الفهم، أو زلّ به القلم، والحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التمهيد

يتناول التمهيد شرح العنوان الذي يحوي مُرتكَزات الدِّراسة من حيث مفهوم الحِجاج، والقصَّة، وخصوصيّتهما في السّرد النبويّ، موردًا نصّ الحديث، ومجلِّيًا مسألة الاحتجاج بالقدر فيه. فحين يتآزر الحِجاج مع القصّة في البيان النبويّ تتجلّى قوّة الحُجّة وإحكامها من خلال الإطار الكُلّيّ والسِّياق الداخليّ. فلكلٍّ من هذين الأسلوبين أثره الفاعل في تثبيت دعائم الدّعوة، وإبراز أصولها ومبادئها، وإقامة الحجّة على الموافق والمخالف، واستخدام تقنيات الإقناع المنطقيّة البليغة التي تقوّي مقام التواصل، وتسهم في بناء الحِجاج، وتجلية سماته التأثيريّة. وفيما يأتي عرض لهذه العناصر المهمّة:

١. مفهوم الحجاج:

تدور الدّلالات اللُّغويَّة للحِجاج حول معاني القصد والغلَبة والسَّبْر والظَّفَر، ومن الباب المَحَجَّة، وهي جادّة الطريق، وكذا الحُجّة، وتعني الدليل والبُرهان، أو ما دُوفِع به الخصم، وترتبط بهذه المعاني من حيث إنها تُقصّد، أو يُقصَد بها الحقّ المطلوب [(١)]، وجمعها حُجَج وحِجاج، واحْتَجَّ بالشيءِ احتجاجًا وحِجاجًا ومحاجّة: اتّخذه حُجَّة ودليلاً[(٢)]، وقد تسمّى المجادَلة الباطلة حُجّة كقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [سورة الشورى: ١٦].

والحِجاج في الاصطلاح هو ((عمل لُغويّ برهانيّ، يقتضي من المتكلِّم رصف

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: حج.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: حجج.

الحجج على نحوٍ يضمن الفَهم، ويحقّق الإفهام، ويستميل العقول والقلوب))[١]. وغايته العُظمى التأثير الذي ((يتأسَّس على تقديم الحُجج والأدلَّة المؤدِّية إلى نتيجة معينة))[٢]، وتستعمل الحُجّة أحيانًا في معنى الحِجاج بما يرمي إليه من التأثير في رأي شخص أو موقفه[٣].

كما أنّ له مكانة عظيمة في البلاغة والتواصُل قديمًا وحديثًا؛ فقد بيّن الجاحظ (٢٥٥ هـ) منزلته الرفيعة في الكلام بقوله: ((جماع البلاغة البَصَر بالحجَّة، والمعرفة بمواضع الفُرصة))[٤]، كما قرن عبدالقاهر(٤٧١هـ) الحِجاج بفكرة النظم مبيِّنًا ما ينطوي عليه الكلام من وظائفَ حِجاجيّة تأثيريَّة من الإقناع وإقامة الأدلّة[٥]. وأشار السكّاكيّ (٦٢٦هـ) إلى علاقة الحِجاج بالخبر حين يقصد المتكلِّم إلى تبرِئة خبره عن الكذب، والاحتجاج بأنه لم يتكلّم بخلاف الاعتقاد أو الظنّ[٦]، وعقد فصلاً عن الاستدلال منبِّهًا إلى كونه جزءًا مهمًّا من علم المعاني، مجلِّـــيًا ما ينطوي عليه من أبعادٍ حِجاجيّة تتضمّنها بنية اللُّغة[٧].

---

(١) المغامسي، آمال، الحجاج في الحديث النبوي ٢١، وينظر: الجمعاوي، أنور، استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية ٨.

(٢) الجمعاوي، أنور، استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية ٨.

(٣) ينظر: باتريك شارودو وزميله، معجم تحليل الخطاب ٦٨.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين ٩٢/١.

(٥) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز ٣٨٤.

(٦) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم ٢٥٤.

(٧) ينظر: السابق ٥٤٤.

وتابعت الدِّراسات الحديثة تسليط الضوء على أثره الفاعل في الإقناع والمقامات الخِطابيَّة التأثيريَّة ؛ كاشفة عن قيمته التَّواصليّة في استمالة المخاطَب، وتعديل موقفه، وتغيير نظام المعتقَدات والتصوُّرات عنده بوساطة الوسائل اللُّغويَّة[١] ؛ حيث يحتاج المتكلِّم إلى معرفة المنطلَقات التي تَحكم الموضوع، والبنية الإقناعيَّة التي تجلّي فكرته، مع ((تقنيات حِجاجيَّة يواجَه بها المخاطَب لإيقاع التصديق على منطلَقات حِجاجيّة، مدارها على مقدِّمات تؤخَذ على أنها مسلّمات، يقبل بها الجمهور. واختيار هذه المقدِّمات وطريقة صوغها وترتيبها له في حدِّ ذاته قيمة حِجاجيَّة، بحيث يبدو الفصل بين درس مُنطلَقات الحِجاج، ودرس تِقنيات الِحجاج فصلاً متكلَّفًا، ولكنّه فصل منهجيّ))[٢] يظهر من خلاله البُعد الحجاجيّ للتواصل الخِطابيّ.

ولا غرو أن يتجلّى الخطاب الحجاجيّ بمصدر مشرق وطريقة بناء محكَمة حين يتّسم بميسم نبويّ أصيل متفرِّدٍ، يبرز جوهر الأسلوب ورقيّه، ومطابقته لمقام التواصل.

٢. الحِجاج في الحديث النَّبويّ:

أبحرت متون السُّنَّة في علوم الشريعة عقيدة وتفسيرًا وفقهًا وسياسة شرعية وقضاءً، بحِجاج متين بليغ ينطوي على عقائدَ وأحكامٍ وسلوكيات، فيها تحاجّ النبيّ ﷺ وصحابته، والصحابة فيما بينهم، ومع غيرهم من الفرق والطوائف، بل نقلت السُّنَّة حجاج الأنبياء، الذي قام على أسس متينة من صحيح المنقول وصريح المعقول،

---

(١) ينظر : عبيد، حاتم، الباتوس: من الخطابة إلى تحليل الخطاب، من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) ٤/٧٨. والقيمة الحجاجية في النص الإشهاري (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) ٤/٢٧٨ .

(٢) صولة، عبدالله، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ٣٠٧ -٣٠٨ .

كاشفًا عن جميل الآداب وجليل المقاصد؛ فالحديث الشّريف حُجّة لا يرقى إليها شكٌّ أو ريب لِما يحمله من شرعيَّة وقَداسة تفرض على المتلقّي الإذعان والتسليم. والنّصّ الذي تتناوله الدراسة مما اتَّفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

٣. القِصّة في الحديث النبويّ:

يدل الأصل اللُّغويّ للقصّ على التتبُّع. يقال: اقتصّ الأثر إذا تتبَّعه[١]، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ٦٤﴾[سورة الكهف: ٦٤]، وقوله: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[سورة القصص: ١١]، فالقصص بالقاف المثنّاة هي الأخبار المُتتبَّعة، وقَصّ خبَره، يقُصُّه قَصًّا وقَصصًا: أورده، والجمع قَصص وقِصص وقَصائص وأَقاصيص[٢].

والقِصّة فنٌّ أدبيّ رفيع له مكانة في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويّة، وفي الأدب العربيّ شعره ونثره. وتفيض في البيان النَّبويّ الشريف بالبلاغة والصِّدق والحكمة والسُّموّ؛ ((فهي في موضوعها نسيجٌ من الصدق الخالص، ولُباب من الحقيقة المصفّاة، لا تشوبها شائبة من وهم أو خيال... وهي في أسلوب أدائها نفحة من نفَحات البيان العَطِر، المتفرِّد في بلاغة تراكيبه، وفصاحة مفرداته، وهي في مقاصدها وغاياتها نموذج من نماذج الدَّعوة إلى الحقّ))[٣]. ويمتاز السّرد النَّبويّ بخصوصيّة تواصليَّة

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: قص.

(٢) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: قص، والزمخشري، أساس البلاغة، وابن منظور، لسان العرب: قصص.

(٣) الدكان، محمد، مشهد السرد في الحديث النبوي ٥.

تداوليَّة، فكيف إذا جاء في صورة قصّة نقلت حِجاجًا جرى بين عَلَمين نبويّين رفيعين هما: أبو الأنبياء، وكليم الله، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام؟

٤. نصّ قصة الحِجاج بين آدم وموسى:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا؛ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى. قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ؟ ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ! فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ، فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا؟ فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا، كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى"(١).

٥. وقفة مع شبهة الاحتجاج بالقدر في الحديث:

قد ترد في المعنى الإجماليّ للحديث شبهة عن جواز الاحتجاج بالقدَر على المعصية، وما الفرق بين هذا الاحتجاج بالقدَر، واحتجاج الكفرة على كفرهم

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب "وفاة موسى وذكره بعده"، برقم: ٣٤٠٩، وكتاب التفسير: باب "واصطنعتك لنفسي" برقم: ٤٧٣٦، وباب "فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى" برقم: ٤٧٣٨، وكتاب القدر باب "تحاج آدم وموسى عند الله" برقم: ٦٦١٤، وكتاب التوحيد باب "وكلم الله موسى تكليمًا" برقم: ٧٥١٥، وأخرجه مسلم في كتاب القدر باب "حجاج آدم وموسى"، برقم: ٢٦٥٢، وقد اخترتُ أتمّ الروايات بلفظ مسلم لتشمل أكبر قدر من تفاصيل القصة.

والعُصاة على معاصيهم؟ لاسيما أنّ المعصية التي تاب منها آدمُ ﷺ، وتقبَّل الله توبته، كانت لها تداعياتٌ ونتائجُ ارتبطت بها، وهي إهباط آدمَ من الجنَّة، وإسكان ذرِّيته الأرض، وامتحانُهم فيها بالصِّراع مع إبليس وقَبيله. وهذه الشُّبهة هي مناط الحِجاج في الحديث. ولدحضها، وتجليةِ معنى الحديث ثمةَ أمور مهمّة يحسن التنبُّه إليها:

أوّلاً: مدى صحَّة الاستدلال بالحديث لجواز الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

ليس في الحديث أيّ حجة على جواز الاحتجاج بالقدر على المعاصي، ذلك أنّ ((اللَّوم على الذنب شرعيّ لا عقليّ، وإذ تاب الله تعالى على آدم ﷺ، وغفر له، زال عنه اللَّوم؛ فمن لامه كان محجوجًا بالشَّرع))[(١)]؛ فلا يُلام التائب على ما تاب منه بخاصّة إذا انتقل من دار التكليف[(٢)]؛ فمن عصى الله سيكون بين حالين:

١. ثبوت التوبة الصادقة التي تُسقِط المؤاخذةَ بالذَّنْب: وهذه حال آدمَ التي نهضت لأجلها حُجّته.

٢. انتفاء التوبة مع بقاء المؤاخذةِ بالذَّنْب: وهذه حال إبليس التي لا يُقبل معها احتجاجٌ بالقدَر[(٣)].. وقد لعنه الله بسبب استكباره عن التَّوبة.

ثانيًا: مناط اللَّوم في قول موسى ﷺ: "ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ!"، فقد كان اللَّوم على الإهباط، لا على المعصية، فلم يقل له: لم خالفت الأمر وعصيت؟ لأنّه علِم توبته من المعصية، والناس مأمورون عند المصائب بالتسليم للقدَر، والواقع في هذه القِصّة ((أنّ موسى لم يَلُم آدمَ إلاّ من جهة المصيبة التي أصابته

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ١٦/ ٢٠٢.

(٢) ينظر: ابن حجر، فتح الباري ١١/ ٥١١.

(٣) ينظر: ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ٧٤.

وذرِّيَته بما فعل، لا لأجل أنّ تارك الأمر مذنبٌ عاصٍ))[١] ، كما أنّ آدم ﷺ لم يظلم أولاده ليستحقّ ملامة، إنَّما وُلدوا بعد هبوطه من الجنَّة، وكونهم صاروا في الدُّنيا دون الجنَّة؛ هو أمر قُدِّر عليهم، أمّا آدمُ ﷺ فقد تاب من ذنبه[٢]، فحين وضع موسى ﷺ الملامةَ في غير موضعها صار محجوجًا، ((وذلك أنّه لام آدمَ على أمر لم يفعلْه، وهو خروج الناس من الجنة، وإنما هو فعل الله تعالى))[٣].

ثالثًا: سبب إهباط آدم: كان الإهباط إلى الأرض مكتوبًا على آدم ﷺ قبل أن يخلق، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]؛ فهو للابتلاء، لا للعقاب؛ فقد تاب آدم، وتقبل الله توبته و ((أُهبط إلى الأرض ابتلاءً له، ووفَّقه الله في هبوطه لطاعته؛ فكان حاله بعد الهبوط خيرًا من حاله قبل الهبوط، وهذا بخلاف ما لو كان الاحتجاج بالقدر نافعًا له؛ فإنه لا يكون عليه ملامٌ البتّة، ولا هناك توبة تقتضي أن يُبتلى صاحبها ببلاء))[٤].

رابعًا: تسمية حدَث الأكل من الشَّجَرة في حقّ آدمَ بعد التَّوبة منه مُصيبة، تستوجب الصَّبر، ولم يعُد يسمّى معصية: لأنَّه تاب، وتقبّل الله توبته، فلم يحتجّ بالقدَر على تفريطه، بل على ما كتبه الله عليه؛ فـ ((ما كان من باب المصائب الحاصلة بقدَر الله ﷻ، ولم يبق فيها مذنِب يعاقَب؛ فليس فيها إلاّ الصَّبر والتسليم للقدَر. وقصّة

---

(١) ابن تيمية، الاحتجاج بالقدر ٢٦ .

(٢) ينظر: السابق ٢٨ .

(٣) البغدادي، الفقيه والمتفقه ٥٥٨/١ .

(٤) ابن تيمية، الاحتجاج بالقدر ٣٣ .

آدم وموسى كانت من هذا الباب ؛ فإنّ موسى لامه لأجل ما أصابه والذُّرِّيــة ، وآدمُ كان قد تاب من الذنب وغُفِر له ، والمصيبة كانت مقدّرة ؛ فحجّ آدمُ موسى))[1].

ولعلّ مسألة الاحتجاج بالقدَر التي خاض فيها فرق وطوائف ، واستدلّ بها مُحقّ ومُبطل ، قد تجلّت وَفق الكتاب والسُّنّة ، أمّا أهل الباطل ؛ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله!

(١) ابن تيمية ، الاحتجاج بالقدر ٥٢ .

المبحث الأوّل
منطلَقات الحِجاج في قصّة آدم وموسى

يرتكز الخِطاب الحِجاجيّ على منطلَقات أساسيّة متنوِّعة، تقوم على جملة من التصوُّرات والمقدِّمات التي تتصاعد بها الحُجج؛ لتتحقّق فاعليتها التأثيريّة حسب الموضوع والفكرة[١]، فيسعى المتكلِّم إلى إقامة حِجاجه على أساس مسلّمات أو مقدّمات مقبولة لدى المتلقّي، توصله إلى قَبول النتائج.

وللحجاج في الدَّرس البلاغيّ أدبيَّات ومنطلَقات مهمّة تظهر متفرِّقة عند علماء البلاغة الأوائل، ومن ذلك وصية الجاحظ (٢٥٥هـ) للمحاجّ بأن ((لا يلتمس إسكات الخصم إلاّ بما يعرفه الخصم، ولا يحتجّ إلاّ بالصِّدق، ولا يطلب الفلْج[٢] إلاّ بالحقّ، ولا يستعين بالخِلابة[٣]، ولا يستعمل المُواربة، ولا يهمِز، ولا يلمِز، ولا يُبطئ، ولا يَعجَل، ولا يُسهِب، ولا يَحصَر[٤]))[٥].

---

(١) نظم هذه المنطلقات كلٌّ من بيرلمان وتيتكا في مصنّف الحجاج. ينظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ١١١.

(٢) الفلْج: الظَّفَرُ والفَوْزُ. فَلَجَ الرجلُ على خَصْمِه يَفْلُجُه فَلْجًا. وفَلَجَ بحُجَّتِه، وفي حجته يَفْلُجُ فُلْجًا وفَلْجًا وفَلَجًا وفُلُوجًا. وأَفْلَجَه على خَصْمِه: غَلَبَه وفَضَّلَه. وفالَجَ فلانًا فَفَلَجَه يَفْلُجُه: خاصَمه فخصَمَه وغَلَبَه. وأَفْلَجَ اللهُ حُجته: أَظْهَرها وقَوَّمَها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: فلج.

(٣) الخِلابَةُ المُخَادَعَة، وقيل: الخديعَة باللسان. وخَلَبَه يَخْلُبه خَلْبًا وخِلابَة: خَدَعَه. وخالَبَه واخْتَلَبه: خادَعَه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: خلب.

(٤) حَصِر يحصَر حَصْرًا: عيّ في الكلام. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: حصر.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين ١٣/٢.

ويقرن أبو هلال العسكريّ (٣٩٥هـ) بين الاحتجاج والاستشهاد مبيِّـنًا منزلة الاستشهاد في الاحتجاج، وأثره في توليد المعاني وتأكيدها[١] للانطلاق من مقدِّمات ومسلَّمات واضحة.

وهكذا تناثرت الإشارات حول مقدِّمات الحِجاج ومنطلَقاته في الدرس البلاغيّ؛ لتتلقَّفها المناهج النقدية؛ وتسلِّط الضوء على مصادرها وموارِدها، وتصنيفها والتمييز بينها من حيث الارتباط بالواقع، أو الاقتران بالافتراض، أو بالأفضل بما يحويه من قيم ومواضع متراتبة فيما بينها؛ لبناء الحجاج على منهج عقليّ، يبرز أسسه ومعاييره، وتقنياته.

وفيما يأتي تفصيل منطلَقات الحجاج[٢]، متبوعة بمقاربة تطبيقيَّة، تستحضر الوعي والخصوصية الدينية للحديث الشريف، وتمحِّص المصطلحات والتعريفات مؤكِّدة أنّ الإفادة منها لا تتعدّى الإطار النظريّ منزوعًا من مرجعيّته الفلسفية، مع تطويعه وَفق ما يناسب مقام القداسة في أقوال النَّبيِّ الكريم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

أوّلاً: الوقائع:

هي مسلّمات مشتركة تمثِّل محورًا مركزيًّا بين المتحاورِين، وخلفيَّة لا يمكن المماراة في صحَّتها؛ فتقتضي تسليمًا بأحداث متَّفق عليها، تشغل العقول بالكشف

(١) ينظر: العسكري، كتاب الصناعتين ٤٣٤.

(٢) جاء تفصيل منطلقات الحجاج بالإفادة من الأسس التي وضعها (برلمان)، و(تيتكاه) ينظر: الدعجي، توفيق، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج: (ضمن أهم نظريات الحجاج) ٣٠٨.

والتفسير والتوضيح للعلاقات الرابطة بينها[١] ؛ ويشكّل ثباتها، وانتفاء الشكوك عنها سببًا مهمًّا يجعل منها خلفيَّة صالحة لتأسيس نقطة البداية[٢].

وعند المقاربة التطبيقيَّة لهذه الوقائع ونصِّ الحديث الشَّريف يتبين أنّ المحور المركزيّ بين المتحاورَين، هو الإيمان بحقّية القرآن الكريم والكتب المرسَلة من عند الله، وما ورد فيها من القَصص القرآنيّ، وما ثبت في أصول الإيمان بالغيب من الإيمان بالقضاء والقدر، وما يقتضيه من العمل والتسليم.

ثانيًا: الحقائق:

هي أنساق حِجاجيّة تحوي ((أنظمة أكثر تعقيدًا من الوقائع، وتقوم على الرّبط بين الوقائع. ومدارها على نظريات عِلميَّة، أو مفاهيمَ فلسفيَّةٍ، أو دينية))[٣]، تستدعي أفكارًا من ذاكرة الماضي أو الحاضر، وتعيد معها تصوُّر الواقع، وبناء المفاهيم والحوارات الفكريّة أثناء تصاعُد الخِطاب الحِجاجيّ، وتفاعُله بين المتحاورين[٤].

وعند المقاربة التطبيقيّة لهذا المنطلَق ونصّ الحديث الشريف؛ تتجلّى الحقيقة التي بُنيت عليها واقعة الحِجاج، وارتبطت بها حقيقة دينيّة مهمَّة في الإيمان بالقضاء والقدر والمشيئة الإلهيّة الكونيّة التي قدّرها أحكم الحاكمين ﷻ بحقِّيَّة الواقعة الثابتة التي يستدعيها ما ورد في التوراة والقرآن في قول الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[سورة طه].

---

(١) ينظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٤، وصولة، عبدالله، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ٣٠٨.

(٢) ينظر: الطلبة، محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة ١١١.

(٣) صولة، عبدالله، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ٣٠٩.

(٤) ينظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٤، والدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ١٤٢.

ثالثًا: الافتراضات:

وهي أقلّ من الوقائع والحقائق في الموافَقة الإنسانيّة العامَّة؛ حيث تتطلّب أدلّة، وعناصرَ برهانيّة تقوِّي مسارها الحِجاجيّ؛ إذ تتغيّر تبعًا للحالات التي تستدعيها، والجماعات البشريَّة المتفاوتة في مجالات الحياة المتنوِّعة[١].

وعند المقاربة التطبيقيّة لهذا المنطلَق ونصّ الحديث الشريف؛ تتجلّى الحقيقة الثابتة التي تستدعي قيام افتراضات حِجاجيّة نحو: ((هل كان آدم في مقدوره أن يخالف القضاء؟ لقد قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]؛ فالمقدّر والمكتوب أن يقضى هو وذريته رحلة في الأرض، يشاركهم فيها إبليس وجنوده، ولا بدّ من نفاذ القدَر؛ فهل يلام آدمُ أنْ كان سببًا في رحلة العذاب، أو لا يلام؛ فالأمر أمر قدر وقضاء؟))[٢]، وبقيام هذه التساؤلات الافتراضيّة؛ تتجلّى الأدلّة البرهانيّة الفاصلة التي تقوّي المسار الحجاجيّ مصوِّرة قصّة خلق آدم عليه السلام، واستخلافه.

رابعًا: القيم:

تمثِّل منطَلقًا حواريًّا مُهمًّا في التفاعل الحِجاجيّ، فهي نِظام سُلوكيّ له أثر في العلوم الإنسانيّة، ومكانة كبيرة في تصاعُد المعاني، والترقِّي في الحِجاج؛ إذ إنّ مداره بكلّ ضروبه يقوم عليها[٣].

وللقيم نوعان: قيم كونيّة عامّة، وقيَم بشريّة مجرّدة؛ ((فالحِجاج اعتمادًا

---

(١) ينظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٤، والطلبة، محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة ١١٢.

(٢) لاشين، موسى، فتح المنعم ١٠/١٧٠.

(٣) ينظر: صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج ٢٥.

على القيم الكونيّة، يعني استدعاء الخير والحقّ والجمال، واتخاذها مراجع في الكلام، وخلفيَّات إليها يستند القول، وعليها يتأسَّس الرأي والموقف))[١].

أمَّا النوع الثاني فهو أقلّ شموليَّة من سابقه، ويمثّل القيم التي توجِّه الأفعال البشريّة، وتقيِّد السلوكيَّات، ويتضمّن أنظمة تسهل متابعتها، والتحقُّق من حصولها، وطرق تطبيقها، ومن هذه القيم الوَحدة والنِّظام، والصِّدق والأمانة، والتقوى والاستقامة[٢].

ويشكّل استدعاء القِيَم بنوعيها حُجّة تؤطّر الواقع، وتجلّي موضوع الحِجاج؛ ((إذ تمتلك القيم غالبًا حمولة واسعة كما تمتلك قوّة حثٍّ نافذة...تعدّ في الوقت نفسه معايير حِجاجيّة. إنّ رأيًا ما يستمدّ احتماله وقوّة إقناعه من كونه يتلاءم مع تضافر هذه القيم))[٣].

وتؤلّف القيم فضاءً حِجاجيًّا واسعًا، ينطلق منه مستوى التطبيق في النصّ أمام كلٍّ من طرفي الحِجاج؛ على النحو الآتي:

١. كلام موسى عليه السلام: سطعت فيه **قيمة كونيّة إلهيَّة** لها أثرها الكبير على حياة البشر، وهي **التكريم الربانيّ** المتمثِّل في طريقة الخلق، وإسجاد الملائكة، وعلوِّ السَّكن. وتنطلق منها قيمة سلوكيَّة بشريّة، تقتضي ديمومة التكريم، وهي الطّاعة، والامتثال للأمر الإلهيّ العلويّ. كما ظهرت القيمة البشريّة المجرّدة في اللّوم الذي صدَر من موسى لآدم على أمر كتبه الله قبل أن يُخلق؛ فهل كان في وُسعه في أن يخالف

(١) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم ٢٧١ .

(٢) السابق ٢٧٨.

(٣) بروطون، فيليب، الحجاج في التواصل ٩١.

قضاء الاستخلاف في الأرض الذي قُدّر عليه؟ و ((هل يُلام آدمُ أن كان سببًا في رحلة العذاب أو لا يُلام ؛ فالأمر أمر قدر وقضاء؟))[١].

٢. كلام آدم عليه السلام: اعتمد على **قيمة كونيَّة** إلهيَّة، تحمل مؤهِّلات كبيرة للتقريب، وسموٍّ المكانة والاضطلاع بمَهمّة التبليغ بما تحمله من اصطفاء بالرِّسالة وبالكلام، وإعطاء الألواح، والتقريب، وتقترن بها **قيمة كونيّة** أخرى بحقّية الإيمان بقدر الإهباط إلى الأرض وتحقيق الاستخلاف الكونيّ الذي أراده الله ﷻ ؛ وكتبه في التوراة قبل أن يُخلق آدم. فـ((كان من الممكن أن يبقى آدمُ في الأرض التي منها خُلق، والتي إليها سيعود، ولكنّه جلّ شأنه أراد من الأزل، وقضى وقدّر لآدم وذريته أن يقطعوا مشوارًا طويلاً قبل أن يصلوا إلى النهاية. وبدأت رحلة آدم: عُرج به إلى الجنَّة، سجد له الملائكة إلاّ إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين ؛ فطُرِد من الجنَّة، وطلب الإنظار إلى يوم القيامة ؛ فكان من المُنظَرين، وتوعّد آدم وذُرِّيّته))[٢].

وبتأمل القيم بقسميها، وكيف انطلق الحِجاج منها بتسليمٍ بمقدّمات واضحة ؛ تتجلّى مرجعيّة المسار الحجاجيّ لطرفي المحاجّة.

خامسًا: الهرميّات:

يرتكز هذا المنطلَق الِحجاجيّ على سابقه بوضع القِيَم في إطار شموليّ، يقوم على الموازنة تبعًا للمقام الِحجاجيّ ؛ فـ ((القيم ليست مطلَقة، وإنما هي خاضعة لهرمّية ما، فالجميل درَجات، وكذلك النافع. والهرَميّة بعد ذلك نوعان: مجرّدة مثل اعتبار العدل أفضل النافع، ومادِّية محسوسة كاعتبار الإنسان أعلى درجة من

(١) لاشين، موسى، فتح المنعم ١٧٠/١٠ .

(٢) السابق ١٦٩/١٠ .

الحيوان))[١].

وتتفوّق هرميّة القيم في البناء الحِجاجيّ على القيم نفسها، فالقيم وإن كانت مسلّمة عند المتلقّين إلاّ أنّ درجة تسليمها تختلف باختلاف المجموعات البشريّة، وهي مراتب، متباينة؛ متفاوتة باختلاف الجماعات البشرية التي تسلّم بأسبقيَّة كلٍّ منها، وتفوُّقها[٢].

فالقضيَّة التي أنشئ لها الاستفهام هي السؤال عن التكريم الذي تلبّست به الشخصية المتحاورة، فبدأ الحِجاج بقيم كونيّة بدهيّة بين الطرفين، جاء السؤال عنها لإيجابها والإقرار بها؛ لتكون وسيلة للترقّي إلى قيمة أخرى في سُلَّم الإقناع، وهي العصيان والغواية، وما نتج عنهما من الإهباط، و((ليس معنى قول آدم: **"كتبهُ اللهُ عليّ"** ألزمه إيّاي، وأوجبه عليّ؛ فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار. وإنما المعنى: أنّ الله تعالى أثبته في أُمِّ الكتاب قبل كَونيّ، وحكم بأنّه كائن لا محالة؛ فهل يمكن أن يصدر عنّي خلاف علم الله؟ فكيف تغفل عن العلم، وتذكر الكسب الذي هو السبب، وتنسى الأصل الذي هو القدر؟))[٣].

ثم ارتقى المنطلَق الحجاجيّ إلى مسألة تمثِّل ذروة القيم المقصودة التي تجلّت بها قيمة كونيـــّة مهمّة هي ظهور الحقّ، وتحقُّق النظام البشريّ الذي حكم به سيّد البشر ﷺ بقوله: **"فَحَجَّ آدمُ مُوسَى"**. وكرّرها للتأكيد على غَلبة الحُجّة ((بأن ألزمه بأنّ العبد ليس بمستقلٍّ بفعله، ولا متمكّن من تركه بعد أن قُضِي عليه من الله تعالى، وما كان كذلك؛ لا يحسن اللَّوم عليه عقلًا، وأمّا اللَّوم شرعًا؛ فكان منتفيًا بالضرورة؛ إذ ما

---

(١) صولة، عبدالله، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ٣١٠.

(٢) السابق بصفحته.

(٣) الهرري، الكوكب الوهاج ٢٤/٥٣٩ - ٥٤٠.

شُرع لموسى أن يلوم آدمَ في تلك الحالة، وهو أيضًا في عالم البرزخ، وهو غير عالم التكليف حتى يتوجّه فيه اللّوم شرعًا. وأيضًا لا لوم على تائب؛ ولذلك ما تعرَّض لنفيه آدمُ في الحُجّة. وعلى هذا لا يَرِد أنّ هذه الحَجّة ناهضة لفاعلِ ما يشاء؛ لأنّه ملوم شرعًا، بلا ريب))[1].

وبهذا يتبيّن انطلاق الحِجاج من قيم كونيَّة مُهمّة تصاعدت في بناء هرميّ قام على أساس درجات ينتقل الإقناع العقليّ والاستمالة الوجدانيّة فيما بينها وصولاً إلى قمة الموقف الحِجاجي.

سادسًا: المواضع:

هي مقدّمات أعمّ من القيم والهرميّات، وتشكّل مخازن معرفيّة للحجج، تلتقي فيها أغلب الاستدلالات الخِطابيّة[2]، فتشمل المعاني العامّة التي يتّفق عليها النَّاس، ويسلِّمون بأهمِّيتها في الإقناع بجوهر الموضوع الحِجاجيّ المراد، ويختلفون في خصوصيّة التّعبير وأصالته وحسن توظيف عموميّاته فيما يناسبها من المواقف؛ على نحو ما ذكر الجاحظ (٢٥٥هـ) أنّ ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقرويّ، والمدنيّ. وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللّفظ، وسهولة المخرَج، وكثرة الماء، وفي صِحّة الطَّبع وجودة السَّبك))[3]؛ فتمثّل المواضع مُنطلَقًا حِجاجيًّا بمثابة ((الأقفاص التي يمكن لكلِّ الناس أن يذهبوا إليها من أجل أن يأخذوا مادّة

(١) الهرري، الكوكب الوهاج ٥٤٠/٢٤ .

(٢) ينظر: صمود، وفريق البحث، أهم نظريات الحجاج ٣١١، وبارت، رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ٦٠.

(٣) الجاحظ، الحيوان ٧٦/٣ .

خطاب ما، وحججًا حول كلِّ نوع من الموضوعات))[١]؛ فهي أماكن تبنيها الخلفية الثقافيّة والمعرفيّة، وتخزّن فيها أصول الحجج والاستدلالات المنطقيّة والمسلّمات الفكريّة، التي تشكّل مؤونة عقليّة ذات عدّة احتياطيّة يمكن استدعاؤها، وتوظيف المناسب منها لحظة انطلاق الحجاج[٢]. ومن هذا العرض يظهر الارتباط الوثيق بين المواضع بوصفها منطلَقًا حِجاجيًّا وثيق الصِّلة بمنطلقَي (القِيَم والهرَميَّات) السابقين؛ ((فالمواضع تُجنّد لخدمة القِيَم وهرميَّاتها في الخطاب الحِجاجيّ))[٣]؛ فمنها تُستقى المقدِّمات، وبها يستمدّ الخطاب شرعيَّته عند الجمهور[٤]، فهي ((تقضي إلى أنْ نُعامل الكائنات التي تنتمي إلى النوع نفسه معاملة واحدة))[٥]، وتتلخّص أهمّ المواضع حضورًا في منطلَقات الحِجاج في قصّة آدم وموسى عليهما السلام في ضربين اثنين:

١. مواضع الكَمّ: وهي ((المواضع التي تثبت أن شيئًا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمِّيّة))[٦] ويتجلّى هذا الموضع الكَمِّي من منطلَقات الحِجاج في الحديث الشريف في قول آدم عليه السلام: **"كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً".**

٢. مواضع الكيف: وهي التي يُستدلّ بها في الخطاب على مفاضَلة بين أمرين لأسباب ترجع إلى الهيئة وكيفية التشكُّل، بحيث يكون أحدهما متفرِّدًا[٧]، ومن ذلك على سبيل المثال تمجيد القرآن

---

(١) بارت، رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ٦١.

(٢) ينظر: الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ١٥٥.

(٣) السابق ١٥٥-١٥٦.

(٤) ينظر: الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ٨٢.

(٥) بروطون، فيليب، الحجاج في التواصل ٩٧.

(٦) صولة، عبدالله، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ٣١١.

(٧) ينظر: الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ١٥٨.

للقلّة على الكثرة في قول الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[سورة البقرة: ٢٤٩].

ويتجلّى هذا الموضع الكيفيّ من منطلَقات الحِجاج في الحديث الشريف في قول آدم عليه السلام **"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"** متعجّبًا من كيفيّة هذا اللّوم، وماهيّته مع ثبوت الحقيقة الكونيَّة للإهباط في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة: ٣٠].

ومما سبق يظهر أنّ المنطلَقات الحِجاجيَّة يمكن ردّها إلى نوعين اثنين:

أوّلهما: مداره الواقع، وهو المتّصل بالوقائع والحقائق والافتراضات.

والآخر: مداره المؤثِّرُ والمفضّل، وهو المتّصل بالقِيم وهرميّاتها[١].

وللمتكلِّم في الأنساق الحِجاجيّة أن ((يختار من بين المقدِّمات المتاحة ما يناسبه، ويجعلها ذات فاعليَّة حِجاجيّة، ويقع هذا الاختيار على أساس نوعيّة الجمهور المتلقّي للحِجاج. ومن وسائل الانتقاء وسيلة الحضور، ويتمّ ذلك باستخدام العنصر المنتقى للمحاجّة، وإبرازه أمام أعين المخاطبين، وفي أذهانهم))[٢]. لكن المنطَلقات في قِصّة الحِجاج بين آدم وموسى عليهما السلام تآزرت جميعها لإظهار مسألة جديرة بالتفصيل والإقناع، يقوم عليها ركن مهمّ في الإيمان، هو أن الاحتجاج بالقضاء والقدر يكون على المصائب، لا المعائب[٣].

---

(١) ينظر: الدعجي، توفيق، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته، "قراءة في الخطابة الجديدة" ٩. http://www.alwasatnews.com/news/403205.html

(٢) السابق.

(٣) ينظر: الأذرعي، صدر الدين، شرح العقيدة الطحاوية ١/١٣٦.

المبحث الثاني
بنية الحجاج في القصة

الحجاج خطاب ذو بنية متميزة، تنفرد كلٌّ لبنة فيها بمكانة تأثيرية إقناعية فذّة تكمّل الأخرى، والرسول ﷺ بفصاحته وقدرته البيانيّة كان يتخيّر منها ما يستلزمه المقام الخِطابي مستثمرًا وظائفها التواصلية المناسبة التي تتآزر فيما بينها لتكوين بنية حجاجية متماسكة، تحقق أعلى مستويات الإقناع والتأثير، وفيما يأتي عرضها:

أوّلاً: الروابط:

تعرّف الرّوابط بأنها: ((العلاقة التي تحصل بين شيئين ببعضهما البعض، ويتعيَّن كون اللاحق منهما متعلِّقًا بسابقه))[(١)]. وتتجلّى قيمتها في وصل التسلسُلات الخِطابيَّة ببيعضها بعضًا لتشكيل بنًى مُحكَمة، تصل بينها مؤشرات لُغويَّة؛ وتتأكّد أهمية الروابط في كلٍّ من السرد القصصي والحِجاج اللذين قامت عليهما البنية الكلية لقصة الحجاج بين آدم وموسى عليهما السلام؛ فوظيفة الرّوابط الوصل بين الأحداث والحجج؛ لتتوثق كُلٌّ منها بالأخرى مضطلِعة بوظيفة معيَّنة تنتَظر منها لإحكام أجزاء القضيّة داخل الاستراتيجيَّة العامَّة [(٢)].

وتشمل الروابط حروف العطف والظروف؛ حيث تربط بين وحدتين دلاليَّتين أو أكثر، في إطار استراتيجيَّة واحدة[(٣)]. وللرّوابط نوعان هما:

---

(١) اللبدي، محمد، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ٩٠.

(٢) ينظر: العزاوي، أبوبكر، اللغة والحجاج ١٦، وكاظم، مثنى، أسلوبية الحجاج التداولي ٧١.

(٣) ينظر: عمران، قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ٣٧.

• روابط مُدرِجة للحُجج، ومنها: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...).
• روابط مُدرِجة للنتائج، ومنها (إذن، لهذا، وعليه...)[١].

وفيما يأتي توضيح ما ورد منها في قصّة المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام، مع بيان أثرها الحِجاجيّ:

١. رابط "الواو": ((يقوم الرَّابط الحِجاجيّ الواو بوصل الحجج بعضها ببعض مع ترتيبها حِجاجيًّا بحيث كلّ حجّة تزيد في قوّة الأخرى))[٢] ؛ وقد وصل هذا الرَّابط الحِجاجيّ في الحديث الحُجّة بالأخرى، بترتيب تدريجيّ هَرميّ تصاعُديّ، تزيد فيه كلّ حجّة في قوّة الأخرى، ومن ذلك: " **وَنَفَخَ ...، وَأَسْجَدَ ...، وَأَسْكَنَكَ ...**"، وفي إيثار هذا الرّبط للحجج فيما بينها دعْم للنتيجة، وتقوية لها ؛ إذ تكشف كيف اقترنت المِنن الإلهيّة على آدم ﷺ بدءًا بالخلق الذي أولته العناية الإلهية صنوف الكرامات في ذاته ؛ فمنحه العزيز الوهّاب كرامة وتميّزًا عمّن حوله.

٢. **رابط "الفاء":** جاء موجِّهًا القصّة نحو مسار آخر لسرد التفاصيل في انتقال الأحداث، وتصاعدها بين الطرفين، "**احْتَجَّ ...، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**". وكذا استمرّ الحِجاج كاشفًا عن بعض السمات الخُلُقيّة لشخصيّتي القصّة آدم وموسى عليهما السلام، والنتيجة التي انتهى إليها الموقف الحِجاجيّ: "**فَحجّ آدمُ مُوسَى**".

٣. **رابط "ثم":** الذي يدلّ على التّراخي والمُهْلة[٣]. وانتقل السِّياق به من تتابع منن الله وآلائه إلى مرحلة زمنيَّة مختلفة، تعلن البَدء بالمسؤولية الفرديّة البشريّة بما نتج عنها من حُكم عامّ على البشر جميعًا عبّر عنه موسى ﷺ بقوله معاتِبًا: " **ثُمَّ أَهْبَطْتَ**

---

(١) ينظر: جايلي، عمر، نظرية الحجاج اللغوي ١٩٩ .
(٢) العايش، سهير، الحجاج في الخطاب النبوي ٣٤.
(٣) ينظر: المرادي، الحسن، الجنى الداني٤٣٠ .

النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ" ؛ فكأنما آدم ﷺ هو من صنع الإهباط، ولم يكن مجرّد سبب فيه، وجزءٍ من كون إلهيّ، لا يجري فيه شيء بغير إرادة مدبّره العظيم ﷻ، ومشيئته الكونيّة والشرعيّة.

٤. **رابط الظرفيّة "عند"**: بما يحويه من دلالات معنويّة وحسِّيَّة وتشريفيَّة في قوله: **"احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا"**. والعِنديّة اختصاص وتشريف؛ فيحتمل وقوع ذلك في كلٍّ من الدَّارين، وبكيفيّات مختلفة أوردها شُرّاح الحديث شاملة المواقف الآتية[١]:

- أن تكون روحاهما التقت في السماء.
- أن يكون اللّفظ على ظاهره باجتماعهم بأشخاصهم، وقد ثبت في حديث الإسراء أنّ النبيّ ﷺ اجتمع بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في السماوات، وفي بيت المقدس، وصلّى بهم[٢].
- أنّ ذلك جرى في حياة موسى حين سأل الله تعالى أن يريه آدم؛ فحاجّه[٣].
- ((أنّ هذه المُحاجّة ستقع يوم القيامة، والتعبير بالماضي لتحقُّق الوقوع))[٤].

---

(١) ينظر: الهرري، الكوكب الوهاج ٢٤/ ٥٣٨ -٥٣٩، ولاشين، موسى، فتح المنعم ١٠/ ١٧١.

(٢) ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة النبي ﷺ التقى بالأنبياء في الحديث الذي قال فيه: "فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ". باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم الحديث: ٢٧٨.

(٣) ينظر: الهرري، الكوكب الوهاج ٢٤/ ٥٣٨ -٥٣٩.

(٤) لاشين، موسى، فتح المنعم ١٠/ ١٧١.

٥. رابط الظرفية "قبل": رَبَط الحجاج بظرفيَّة زمنيّة تَحقّق فيها أمر كونيّ؛ في قول آدم عليه السلام: **"قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"** بدلالته على القبْليَّة، وتقديرها بأربعين سنة؛ فربطت المسار الحجاجيّ برابط زمنيّ مهم؛ فـ ((هل كان آدم في مقدوره أن يخالف القضاء لقد قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة: ٣٠]؛ فالمقدّر والمكتوب أن يقضى هو وذريته رحلة في الأرض، يشاركهم فيها إبليس وجنوده، ولا بدّ من نفاذ القدر؛ فهل يلام آدم أن كان سببًا في رحلة العذاب، أو لا يلام؛ فالأمر أمر قدر وقضاء؟))[(١)].

وبهذا تبيّن أثر الروابط في تماسك أجزاء الحوار، وتجلية عناصر المحاجّة بين آدم وموسى عليهما السلام، وإظهار تآزر الأحداث القصصيّة، وإبراز البنية الحجاجيّة.

ثانيًا: الاستفهام:

يطلق أصل الاستفهام على طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات معروفة[(٢)]. وله من حيث غرض المتكلّم نوعان: استفهام لحصول العلم، واستفهام مع العلم لتحقيق أغراض بلاغيّة كالتقرير أو الإنكار[(٣)].

كما ينقسم من حيث اقترانه بالإنشائية والخبرية قسمين: استفهام بمعنى الخبر، واستفهام بمعنى الإنشاء، فالقسم الأوّل ضربان: أحدهما للنفي: وهو استفهام الإنكار، والآخر للإثبات: وهو التقرير، أمّا القسم الثاني؛ فيحمل دلالة على الأمر

---

(١) لاشين، موسى، فتح المنعم ١٠/١٧٠ .

(٢) ينظر : الأيوبي، ياسين، شرح تلخيص المفتاح ١٠٠، ومختصر المعاني، ومواهب الفتاح، وحاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص) ٢/٢٤٦.

(٣) ينظر : ابن النقيب، مقدمة تفسير ابن النقيب ٣٢٩ -٣٣٣.

أو النهي أو التحذير أو التذكير، ونحو ذلك[١].

ويمثِّل الاستفهام بنية تركيبيّة طلبيّة تؤازر المقام الحِجاجيّ، وتدعم موقفه الإقناعيّ، فهو بنية تتكئ على حركة المعنى، وتربط بين المستويين السطحيّ والعميق متّجهة من السطح إلى العُمق[٢]، لتثير الأذهان لتأمُّل المواقف، وإعادة التفكير فيها، تبعًا لما يقتضيه موقف التواصل؛ ((ذلك أنّ الأساليب الإنشائيَّة خلافًا للخبريّة، لا تنقل واقعًا، ولا تحكي حدثًا؛ فلا تحتمل تبعًا لذلك صدقًا أو كَذبًا، وإنما تثير المشاعر، وتشحن من ثمّة بِطاقةٍ حِجاجيّة؛ لأنّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرًا ما يقوم عليها الخطاب الحِجاجيّ))[٣] والاستفهام يحفّز النفس إلى التفكير بحثًا عن الجواب.

وفي قصّة المحاجّة بين آدم وموسى يبدو الحِجاج بالاستفهام في جانب كبير من الطرافة والعجب؛ حيث يأتي عن أمر بدهيّ معروف، لا يُنتظَر منه جواب، بل مجرَّد إقرار وتأكيد للمسألة.

ففي تبادل التعارف بينهما: **"أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ"** و **"أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ"** انطوت كلتا الجملتين على دلالة استفهاميَّة بتقدير الهمزة، أي: أ أنت؟[٤]. و ((حروف الاستفهام قد يسوغ

(١) ينظر: الزركشي، البرهان ٣٢٨/٢.

(٢) ينظر: عبدالمطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى ٢٥٨، ورزقي، الطيب، البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان ١٥٨.

(٣) الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم ١٣٩ -١٤٠.

(٤) الهرري، الكوكب الوهاج ٥٤٤/٢٤. ورد التصريح ببنية الاستفهام في بعض شروح الحديث مثل: العيني، عمدة القاري ٦٠/١٩، ولاشين، فتح المنعم ١٦٩/١٠.

إضمارها في بعض المواطن ؛ لأنّ للمستفهِم هيئة تخالف هيئة المخبِر))[١].

ولعلّ السرّ في بلاغة الاستفهام في هذا السِّياق، وخدمته الكبيرة لمقام الحِجاج هو أنه يدفع إلى الإقرار بالثبوت، فالاستفهام في أصل وضعه يتطلّب جوابًا يحتاج إلى تفكير، يقع به الجواب موضعه، حيث يجاب عنه بالإثبات بداهة دون تفكير، فقد انطوى التعارف التداوليّ فيما بينهما على مقدِّمات بدهيَّة، لا تحتاج سؤالاً، وفي توجيه السؤال حمل له على الإقرار بالأمر، وتذكُّر مقتضياته، وهو أفضل من إثبات المسألة ابتداء دون إقرار. كما أنها قد تُحمل على الإخبار للتثبُّت والتعجُّب.

وورد من الاستفهام في هذا الحديث ثلاثة أنواع: التقرير، والاستفهام بطريقة الأسلوب الحكيم، واستفهام الإنكار والتعجُّب، وفيما يأتي عرض كلٍّ منها:

١.استفهام التقرير: التقرير هو حمل المخاطب على الاعتراف بأمر استقرّ عنده. ففيه طلب إقرار للمخاطب بأمر يعلمه السائل[٢]. وهو ((إخبار عن ثبوت حقٍّ للغير على نفسه. وبما أنَّ الإقرار إخبار متردِّد بين الصِّدق والكَذب، فكان محتملاً لهذين الأمرين، إلاّ أنّه جُعل حُجّة بدليل معقول، وهو أنّه ظهر رُجحان الصِّدق على الكَذب فيه ؛ لأنّ الإنسان غير متَّهم فيما يقرّ به على نفسه))[٣] ، وللتقرير قيمة كبيرة في تنبيه الفكر والمشاعر إلى بدهيّات، قد يغفل عنها الإنسان ؛ ليكون عن طريقها استنباط قائم على المقدِّمات، يُتوصَّل به إلى إثبات الحقوق، وإيصالها إلى أصحابها من أقرب الطرق وأيسرها[٤]لإبراز المواقف وتجلية الحقائق، وإثارة المشاعر نحو موضوع الحِجاج ؛ حيث

---

(١) الجوزية، ابن قيم، بدائع الفوائد : ٢٠٩/١ .

(٢) ينظر : الزركشي، البرهان ٣٤٧/٢، والسيوطي، الإتقان ٢٦٩/٣.

(٣) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته ٢٢٤/٨.

(٤) ينظر : الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته ٢٢٤/٨.

يؤخَذ من التذكير بأساسِ موضوعِ القولِ، ونسبتِه وصفاتِه والإقرارِ بصحته دليلٌ على صحَّة الدَّعوى، والوصول إلى نتيجتها المفترَضة وصولاً إلى الإقناع.

وقد بدأ مقام الحِجاج في الحديث الشريف بتقرير يشمل مقدّمة تعريفيّة مسلّمة مستفادة من الإجابة عن سؤال: **"أَنْتَ آدَمُ الَّذِي ..."** و **"أَنْتَ مُوسَى الَّذِي..."** ليدلّ الجواب الإثباتيّ على حقيقة خِطابيّة، يتعاضد فيها الضمير مع العَلَم والاسم الموصول، لوضع مقتضًى حِجاجيٍّ يشكّل سياقًا تداوليًّا، يتبادل فيه طرفا الحجاج التعارف والإقرار، لتكون هذه المقدِّمة عند كلٍّ منهما إقرارًا مُلزِمًا للمخاطَب، مهيِّئًا لإقرار آخر بما تبوَّأه من منزلة رفيعة كرّمه الله بها، إضافة إلى الإقرار بالعلوِّ المطلَق للمقام الإلهيّ الأسنى الذي منح كلاًّ منهما تكريمًا مغايرًا للآخر، والتذكير به يوائم موقف الحِجاج، ويستدعي صورًا مهمّة في تصاعد أحداثه، والإجابة عن أسئلته، والإقناع بمقتضياته، مما يجعل البنية الحِجاجيّة باعثة على التسليم بمقدِّمات بَدهيَّة متّفق عليها، فالإقرار بها أمر لا مجال فيه للإنكار؛ لذا اكتُفي عنه بالسؤال دون انتظار إجابة، فكان حذفه دالاًّ على أنّه لا يحتاج إجابة؛ لذا مثّل الاستفهام ابتداءً عنصر الاتفاق بين الطرفين المتخاطِبَين وصولاً إلى تحرير محلّ النزاع في القضيّة، وإبراز موضع الخلاف الذي استدعى اللَّوم والعتَب، وهو: هل الإهباط من الجنَّة كان بسبب المعصية؟

ثم يأتي الإقرار النَّصّي إجابة عن أسئلة آدم ﷺ، التي سبَّبها عن المقدّمة التعريفيَّة التي تضمَّنت الإقرار؛ فانتقل من الإقرار إلى السؤال عن استرجاع زمن تمهيديّ، يدور حول إجالة التفكير في مدَّة طويلة مع محاولة استدعاء أحقاب زمنيّة متتابعة، تُفضي إلى إحصاء تقريبيّ لفضاء زمنيّ، يستغرق أعصارًا شاسعة مرّت بها

البشريَّة، في قوله: **"فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟"** وذلك لتحفيز الذِّهن للعودة إلى حقبة زمنيّة سحيقة، تمهّد لالتماس العذر.

ثم ارتقى الحِجاج بالاستفهام إلى استرجاعٍ نصِّيٍّ برهانيّ، في قول آدم عليه السلام: **"فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا:** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾**؟"** مرتقيًا منه إلى سؤال يحوي إقناعًا واضحًا، يؤدّي إلى تسليم نهائيّ بالنتيجة في قوله: **"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"**، ويزعزع هذا السؤال أركان شُبهة قد يُظنّ وقوعها في الأذهان، وهي أنّ معصية آدم عليه السلام هي سبب الإهباط إلى الأرض! حيث تعجّب فيه من اللّوم على أمر مقدَّر مضى، وتاب منه، ولا يملك دفعه وقت المحاجّة، ((وفي إيراد هذه المعانى بأسلوب الاستفهام تشويق وإثارة للتفكير لمراجعة وجه الصواب))[1]. فقد انتظر بعد الاستفهام الأوّل أن يسمع الجواب، ويرتقيَ منه إلى سؤال آخر، ينقله إلى سماع إقرار آخر، أدمج معه عتابًا له عن مدى صحّة اللّوم في هذه المسألة بما تحمله من بُعد زمنيٍّ ممتدّ.

فالاستفهامان يمثّلان محور ارتكاز القضيَّة، ومنطلَق إقناع المخاطَب للمصادَقة على القضيّة الرئيسية، وهي الإهباط إلى الأرض التي تشكّل مناط الحِجاج بينهما، وبها انتهى المسار الحِجاجيّ؛ فكان السؤال مُفحِمًا؛ جعل موسى عليه السلام محجوجًا. وهنا حذف الإقرار أيضًا، واكتفي عنه بالوصف، **" فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى"**؛ ليدلّ على أنّ موسى عليه السلام حار جوابًا؛ فلم يستطع الردّ ليقول: صدقت. لا ألومك على هذا الأمر! فكان للسكوت أهمية حِجاجيّة عظيمة، دلّت على الحال النفسيّة، وكشفت عن عبارة الموافَقة والتماس العذر، مما لم يكن ليتحقّق لو نُصّ على الإقرار بالجواب.

---

(١) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن ١٢٨.

فأبرز الاستفهام مسائلَ مُهمّة بُنيت على سُلطة المقام التخاطُبيّ، ومُعطَياته السياقيَّة. ليتحوّل الردّ إلى موقف حِجاجيّ، تتحقّق به الاستمالة نحو موضوع الحديث، والاقتناع بالحُجّة، وتذكُّر مدى التواضع في المنزلة البشريَّة المحفوفة بالضعف لولا عون الله.

٢.الاستفهام بطريقة الأسلوب الحكيم: قال السكّاكيّ (٦٢٦هـ): ((الأسلوب الحكيم هو تلقّي المخاطَب بغير ما يترقَّب، ...أو السائل بغير ما يتطلَّب))[١]. وأبان ابن كمال باشا (٩٤٠هـ) عن أنّ ((مرجعه العدول في الجواب عن موجب الخطاب لحكمة شريفة يقتضيها المقام))[٢].

وفي قصّة المحاجّة لم يجابه أبو البشر ﷺ كليم الله ﷺ بالنفي؛ فيقول: لستُ من أهبط الناس! ((ولم يقل له أنت موسى الذي اصطفاك الله...، ثم قتلت نفسًا، لم تؤمر بقتلها؟))[٣]، بل تلقّاه بسؤال، لم يتوقّعه؛ ليطمئنه إلى أنّه مقرٌّ باستفهاماته، مع توجيه الحِجاج نحو القدَر الكونيّ للاستخلاف في الأرض محتجًّا به على أنّ مسألة الإهباط قُدِّرت عليه، وعلى ذريته من بعده، وفي هذا الأسلوب ما فيه من توجيه نبويّ كريم يلفت الأنظار إلى ((وضع السؤال موضعه، وكيفيّة المحاجّة))[٤].

والسرّ في بلاغة العدول عن أسلوب النّفي في الِحجاج بما قد يثيره من نفور بين الطرفين، وإيثار توجيه دَفّة الحِجاج نحو أسلوب الاستفهام، هو أنّ الاستفهام في أصل

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم ٤٣٥، ونقله عنه القزويني في الإيضاح ٧٦، وأشار إليه، ولم يسمِّه في التلخيص ٩٧، ونقله كذلك الطيبي في التبيان ٤٣٠ - ٤٣٢.

(٢) ابن كمال، رسالة في بيان الأسلوب الحكيم (ضمن كتاب الأسلوب الحكيم) ١١٧ .

(٣) المالكي، عبدالعزيز، الحجاج في ضوء السنة النبوية ٢٦٩ .

(٤) البغدادي، الفقيه والمتفقه ٥٥٨/١.

وضعه يتطلَّب جوابًا، يحتاج إلى تفكير ورويّة في التخلُّص منه، ليقع الجواب في موضعه، فالمسؤول يحتاج إلى إبعاد التُّهمة عنه بالإجابة بالنَّفي، لكنّ تصريف الكلام نحو سؤال آخرَ مبنيٍّ عليه، هو: **"فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا:** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ **؟"** وفيه حمْل له على الإقرار بالنفي[١]، مع إثبات دليله من القرآن والتوراة، وإثارة الفكر للجواب المسلّم به بين الطرفين بأقوى الأدلّة.

٣.الاستفهام الإنكاريّ: والإنكار من الدلالات الاستلزامية الحجاجية للاستفهام، وهو بنية قويّة الأثر في بنية الحجاج وإظهار دلالة النفي؛ حيث تعمل صيغتها الطلبيّة على إشراك المتلقّي في الخطاب، وفي النتيجة كذلك بما يستلزمه السؤال من جواب ضمنيّ بتأكيد النفي[٢].

وفي قصّة الِحجاج ختم آدم ﷺ استفهاماته السابقة باستفهام إنكاريّ تعجُّبيّ يقوّي البنية الحجاجيّة في قوله: **" أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"** واستفهامه لا يحتاج إلى جواب، بل هو دليل واضح لتحرير موطن النِّزاع، وصولاً إلى تأثير حِجاجيّ مناسب للموقف، يشترك فيه طرفا الحجاج في الاقتناع بالحجّة، والبحث عن الدليل؛ فباستفهامه قلب اللَّوم والعتاب على موسى ﷺ بطريقٍ لبقة غير مباشرة. وشتّان بين هذا الأسلوب بعمقه ولباقته وإيجازه، وما يثيره من أحاسيس الاقتناع والتسليم، وبين النفي المباشر! فالعدول عن النفي إلى الاستفهام من شأنه أن يغيّر مجرى القضية تغييرًا جذريًّا، وينتقل بها من دحض الرأي للمخالف إلى احتوائه بدفعه إلى الإقرار بما تفرضه عليه القضيّة

(١) ينظر: بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن ١٢٦.

(٢) ينظر: رزقي، الطيب، البنية الحجاجية ١٦٩.

التي يحملها تركيب الاستفهام[١]. و((أبلغ الحجج وأشدّها إلزامًا للخصم، وأكثرها إفحامًا له ؛ ما نطق بها هو نفسه، وساهم في صنعها من خلال إجابته عن الاستفهام الموجّه إليه، فعلى هذا يبدو الاستفهام أبلغ حِجاجًا من مجرّد النفي))[٢] ؛ لذا واءم البنية الحجاجيّة للاستفهام في الحديث الدلالات الشفيقة التي بثّت معاني التقرير والتذكير الذي تبادله كلٌّ من الطرفين، ثم انتقل إلى آدمَ عليه السلام حاملاً معه معاني الحكمة والعتب الرفيق المناسب لشخصيّة أبي البشر بما تتَّسم به من معاني الأبوّة والحنان والاحتواء والتوجيه.

ثالـثًا: التّكرار:

يعرّف التَّكرار بأنه: ((إعادة اللَّفظ أو مرادفه لتقرير معنى))[٣]، وذكر ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) له وجهين، هما تَكرار لفظ من جنس واحد، وتَكرار معنًى بلفظين مختلفين لإشباعه وتوسيعه[٤]. و((يحسُن استعمالُه في الأمور المهمَّة التي تعظُم العناية بها، ويُخاف بتركه وقوع الغلَط والنِّسيان فيها))[٥] ؛ فله مكانة عُظمى في توكيد الأفكار، وإقرارها في القلوب إقرارًا ينتهى إلى الإيمان بها، ((فإذا تكرّر الشَّيء رَسخ في الأذهان رسوخًا، تنتهي بقَبوله حقيقة ناصعة))[٦] .

---

(١) ينظر : صولة، عبدالله، الحجاج في القرآن ٤٢٨ .

(٢) السابق ٤٢٩ .

(٣) الزركشي، البرهان ١٠/٣ ، وينظر : شروح التلخيص ٢١٨/٣ .

(٤) ينظر : ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ١٥٢ .

(٥) الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ٥٢.

(٦) لوبون، غوستاف، روح الاجتماع ١٣٩ .

كما أنّ له أثـرًا بيِّـنًا في الإقناع، يدعم البنية الحجاجيّة محقّقًا غايات تواصُلـيّة مهمّة من التنبيه والتأثير، والتوكيد والإفهام، وتجلية القضايا في المحاجّات؛ لذا ربط أبو هلال العسكريّ (٣٩٥هـ) بينه وبين تأكيد الـحُجّة ونجاعتها، وجعله من قَبيل بسْط القول، وتقريره، وبلوغه تحفيز المتلقّي وإقناعه[١]؛ حيث يتضمّن ((زيادة التنبيه على ما ينفي التُّهمة؛ ليكمل تلقّي الكلام بالقَبول))[٢].

وفي الحديث تتجلّى أهمية التَّكرار في تأكيد فكرة معيَّنة، قصد النبيّ ﷺ، تثبيتها بالإلحاح عليها عبر تَكرار ألفاظها؛ وفيما يأتي عرض مواضع التَّكرار في قصّة المحاجّة:

١. تَكرار اللَّفظين المتجانسَين المتَّفقين في الحروف، المشتقَّين من مادّة الحِجاج نفسها، باختلاف في المعنى، هما:

"احتجّ": ومعناه أقام كلٌّ منهما الحّجة على الآخر مستنكرًا فعله.

"فحجّ": أي: غلبه بإظهار الحجّة عليه، وإسكاته[٣].

فظهر التشابه في اللَّفظين، مع تباين الدّلالة؛ فأوَّلهما دلّ على سرد موقف الحِجاج والآخر أفصح عن نهايته، وأدّى هذا الجناس وظيفة إقناعية مهمّة، عمّقت الِحجاج وشوّقت إلى متابعة أحداث السَّرد القصصيّ الذي ذُكرت نهايته مجمَلة، بتأثير نفسيّ فريد يلفت انتباه المتلقّي، فالجناس نوع من التَّكرار اللفظيّ وهو ((من الأساليب

(١) ينظر: العسكري، كتاب الصناعتين ١٥٧.

(٢) الزركشي، البرهان: ١٣/٣، والسيوطي، الإتقان ٢٢٤/٣.

(٣) ينظر: الهرري، محمد الأمين، الكوكب الوهاج ٥٤٢/٢٤.

البديعيَّة التي تجذِب السَّامع، وتؤثِّر في نفسه، وتُحدث فيها ميلاً إلى الإصغاء لما يعرض عليها، ودفـعًا إلى قَبوله وتمثُّله))[١].

٢. تَكرار الجملة الخبريّة: **"فحَجَّ آدمُ مُوسَى"** في أوّل الحديث وآخره، لترسيخ نتيجة مُهمّة تحمل الغاية التي انتهى إليها الحِجاج، لتثبيت فكرة جواز الاحتجاج بالقدَر على المصائب، لا المعائب.

٣. تَكرار لفظ العمل في قوله: **"أنْ عملتُ عملاً كتبَ اللهُ عليّ أنْ أعملَه"** لتقرير المسؤولية الفرديَّة للإنسان، ومحاسبة الله له على أعماله.

٤. تكرار الفعل "وجد" المرتبط بالضالّة[٢]، ، **"فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ ...، فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا..."** ومجيئه مسندًا إلى ضمير المخاطب العائد على موسى عليه السلام؛ لتحفيز ذهنه نحو البحث عما فاته من التماس الأعذار لآدم عليه السلام قبل عتابه ولومه.

٥. تكرار قَبْليـــة الخلق في قوله: **"فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟"** وقوله: **"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"** لترسيخ فكرة أنّ الأمر مصيبة، قُدرت عليه منذ زمن بعيد، وامتنّ الله عليه بالتوبة منها؛ فلا يصحّ تعييره بها.

٦. تَكرار الاسم الشريف **"الله"** في قوله: **"خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ"**، و**"اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ"**، و**"فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ"**، و**"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي"**. وفي هذا التَّكرار تقرير لمبدأ الإيمان بالتقدير الإلهيّ الكونيّ، وإرادة الله عز وجل النافذة التي لا يملك البشر ردّها، ولا يقدر عليها إلاّ الله وحده المتَّصف بالإلهيَّة المطلَقة في تصريف الأمور وتقديرها.

---

(١) الزماني، كمال، حجاجية السجع والجناس ٧٩.

(٢) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: وجد.

٧. تَكرار بردّ عجز الحديث على صدره لإبراز التصاعُد في الموقف الحِجاجيّ **"احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى ... فحَجَّ آدَمُ مُوسَى"**، فكُرِّرت عبارة **"فحجّ آدمُ مُوسَى"** في ختام الحديث الشريف مشيرة إلى الموقف الفاصل الذي حدثت فيه الغلَبة؛ ليتأمَّل المتلقّي بَدء الحجاج بلفظ يَسرد قصّة المحاجّة، ويجمِل نهايتها، يليه تفصيل للموقف الحِجاجيّ، ينتهي بعبارة متطابِقة، تخبِر عن نهاية الموقف. وبهذا يلفت النبيّ ﷺ الأنظار نحو الكيفيَّة التي حدث بها الإقناع، معلنًا انتهاء الموقف الِحجاجيّ بالعبارة التي بدأ بها الحِجاج بردِّ عجُز السَّرد القَصصيّ على صدره بصورة إجماليّة كانت مُبهَمة، لم تظهر أبعادها ابتداء، لكنها مشوِّقة لمتابعة السّرد حيث جاءت كعنوان يصف مُجمَل ما حدث، وحين تكرَّرت العبارة ذاتها في خاتمة الحدث حملت دلالة أعمق، وسلّطت الضَّوء على ذروة الموقف الِحجاجيّ الذي استعمل فيه آدم عليه السلام حجّة بالغة، أقنع بها موسى عليه السلام؛ فسلّم له، وسكت. ففي ردّ العجُز على الصَّدر تكرارٌ لتَفْسِير ما أجمل بتوضيح سرّ الغلَبة[(١)].

فالتَّكرار أسلوب مهمّ في الحِجاج يظلّ فيه المتكلّم مشغولاً بالدفاع عن فكرته، مردِّدًا ما يتعلّق بها، راغبًا في إقناع المخاطَب من جوانب عدّة، للرَّبط بين سلسلة من الحُجج، التي تُسهِم مُجتمعة في خلق رؤية متكامِلة لموضوع الحِجاج[(٢)].

رابعًا: التقابل:

يوظّف المتكلِّم ما تنطوي عليه دلالات التقابل، في إبراز المعاني المُرادة، وترسيخها في الأذهان، فللتقابل أهمية كبيرة في دعم البنية الحِجاجيَّة المؤثرة في التبليغ

(١) ينظر: العيني، بدر الدين، عمدة القاري ١٥٨/٢٣.

(٢) ينظر: الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ١٩٦، وبروطون، فيليب، الحجاج في التواصل ١٠٨.

وإيصال الأفكار[١] ؛ حيث يسهم الإتيان بالمعاني المتقابلة المتغايرة في التذكير والإثارة الذهنيّة، والتحليل الذي يصوّر تباين الأحوال، فالتقابل نمط تعبيريّ يلبِّي حاجة العقل إلى المقارنة ممَّا يكفل الفَهم والوعي والإدراك، وكما قيل : ((وبضدِّها تتبيَّن الأشياء))[٢].

ويُلحظ إسهام التقابل في البنية الحجاجيّة في الحديث بين لفظَي : **"أَسكَنَكَ"** و**"أَهْبَطْتَ"** ؛ فسَكَن أصل يدلّ على خلاف الاضطراب والحركة[٣]. في حين يدلّ هبَط على انحدار[٤]، ويظهر التباين في الحالين بإيثار الفعل المزيد، وإسناده إلى الله ﷻ بالضمير العائد عليه، المستتِر في الفعل وجوبًا، واتصاله بالمفعول به الذي جاء في صورة ضمير متَّصل للخطاب، يُظهر آثار العناية الإلهيّة التي حفّت آدم ﷺ ؛ لتناسب معها أحاسيس الامتنان والتذكير بما يستوجبه من الشكر والامتثال للأوامر الربانيّة، فيأتي اللَّفظ **"أَهْبَطْتَ"** موحيًا بحركة اخترقت ذلك السكون بانحدار حسِّيّ ومعنويّ، كان سببه خطيئة آدم ﷺ حين أزلّه الشيطان ؛ فاستجاب له في لحظة ضعف ؛ نتج عنها هبوط مقدّر عمّ البشريّة وارتبط ارتباطًا وثيقًا بذلك الحدث.

وبهذا التقابل يتجلّى الثّراء السياقي في البنية الحِجاجيّة بتأمّل الألفاظ، وتتبُّع دلالاتها المتراحبة المتقابلة فيما بينها، الكاشفة عن التغاير في الأحوال.

خامسًا : التقييد :

---

(١) ينظر : عبدالرحمن، طه، مراتب الحجاج وقياس التمثيل ١٨ .

(٢) عجز بيت للمتنبي من الكامل ، صدره : ونَذِيْمُهم وبهم عرفنا فضلَه. ديوان المتنبي : ١٤٩/١ .

(٣) ينظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : سكن .

(٤) ينظر : السابق : هبط .

بيّن ابن فارس (٣٩٥هـ) أنّ التقييد ((ذِكر الشيء بقرينٍ من صفة، أو شرط، أو زمان، أو عدد، أو ما يُشبه ذلك ، فيكون القرين زائدًا في المعنى))[١] . فالأصل في الجملة أن تقوم على ركنيين رئيسين هما: المسَند إليه، والمسنَد. ويُسمَّى ما زاد عليهما قيدًا، فيكون القيد بالمفاعيل، أو بالنواسخ، أو بالحال، أو بالتوابع، أو بضمير الفصل، أو بالشّرط[٢]. ويأتي ((لتربية الفائدة وتقويتها ؛ لأنّ ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص، وهو يوجب ازدياد البُعد الموجِب لقوّة الفائدة))[٣].

وللتقييد في قِصّة الِحجاج بين آدم وموسى حضور كبير يدعم البنية الحِجاجيَّة ويحقّق غاياتها التأثيريَّة، وفيما يأتي عرض لمواضعه:

١. التقييد بالموصول في قوله: **"آدم الذي"**: فيه زيادة في الوصف والتعريف للتذكير والتقرير والإقرار.

٢. التقييد باليد مضافة إلى الله في قوله: **"خَلَقَكَ الله بِيدِه"** مع إسناد الخلق إلى **"الله"**، وينطوي تقييد فِعل الخلق باليد على إكرام وتشريف، مع إثبات لصفة اليد لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيه دلالة على خلقِ آدمَ ﷺ إبداعًا من غير واسطة أب وأمّ[٤].

٣. تقييد فعل النفخ بروح الله **"وَنَفَخ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ"** بالظرف المتصل بضمير الخطاب **"فِيكَ"** المتوجّه إلى آدم ﷺ: ينطوي على فضل تشريف، مع تذكير بأنه من روح خلقها الله، وأضافها إليه تكريمًا. قال القرطبيّ (٦٧١هـ) مفسِّرًا معنى الإضافة في

---

(١) ابن فارس، الصاحبي ١٤٦.

(٢) ينظر: القزويني، الخطيب، الإيضاح ٩٥ ، والتفتازاني، السعد، المطول ٣١٤-٣١٥.

(٣) التفتازاني، السعد، المطول ٣١٤.

(٤) ينظر: المباركفوري، منة المنعم ٢١٩/٤ .

الرُّوح بأنها التي يملكها الله، ولا يملكها غيره[١]. كما وضّح حقيقة الروح المذكورة قائلاً: ((الرُّوح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالرُّوح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، كقوله: أرضي وسمائي وبيتي، وناقة الله وشهر الله))[٢].

وأمام هذين القيدين السابقين **"بِيدِهِ"** و**"مِن رُوحِهِ"** يحسن التنبيه على أمر عقديٍّ مهمٍّ ذكره ابن تيميّة (٧٢٨هـ) بين الأعيان القائمة بأنفسها التي إذا أضيفت إلى الله عُلِم أنها إضافة مُلك، لا إضافة وصف. وهذا فارق جوهريّ بين إضافة الصفات وإضافة المخلوقات. وعليه يظهر الفرق بين نصوص الإضافات وأحاديث الإضافات، وبين آيات الصفات وأحاديث الصفات، فاليد من نصوص الصفات، والرُّوح من نصوص الإضافات ففيها إضافة مخلوق، لاختصاصه ببعض الوجوه كإضافة البيت والناقة والروح في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[سورة الحج: ٢٦]، وقوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[سورة الأعراف: ٧٣، وهود: ٦٤]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: ١٧][٣].

٤. تقييد الإسجاد في قوله: **"وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ"** بأنه مسنَد من الله إلى الملائكة لتشريفهم مع فضل تشريف لآدم ﷺ؛ لتتجلّى بهذا التقييد الكرامة الربّانيَّة التي منحها الله إيّاه؛ حيث أسجد الملائكة سجودَ امتثال لأمر خالقهم المهيمن، بتواضع وتحيّة لآدم لا سجود عبادة[٤].

---

(١) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١٥.

(٢) السابق ٢٤/١٠.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥٠/١٧.

(٤) ينظر: المباركفوري، منة المنعم ٢١٩/٤.

٥. تقييد الإهباط بالناس **"أَهبَطْتَ النَّاسَ"** بعد إسناده إلى آدم عليه السلام للدّلالة على الأثر الذي تعدّاه؛ ليشمل الناس جميعًا ممّا يعمِّق الإحساس بالمسؤوليّة الجماعيّة.

٦. تقييد إهباط الناس بخطيئة آدم عليه السلام في قوله: **"بخطِيئَتِكَ"** أبرز السبب مع التذكير بفداحته، واللَّوم على مناط قضيّة الحِجاج، وهي سبب الإهباط؛ إذ ظنّ أنّ الخطيئة هي السببُ في إنزال الناس(١).

٧. تقييد الاصطفاء بالرسالة والكلام المضافان إلى ضمير الغَيبة العائد إلى الاسم الشريف **"الله"** في قوله: **"برسالتِه وبكلامِه"** دلّ على خصوصيّة تشريف وإكرام لموسى عليه السلام؛ فلم يسمع كلام الله من غير واسطة أحد في الأرض غيره(٢). ((ولا شكّ أنّ لله كلامًا لائقًا بكماله وجلاله، وللمخلوقين كلام مناسب لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم. وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة كما بَيْنَ ذات الخالق والمخلوق))(٣).

٨. تقييد التِّبيان بالكُلِّية في قوله: **"فِيها تِبيانُ كُلِّ شَيءٍ"** يقتضي العموم والشمول، مما يُحتاج إليه في أمر الدّين، زيادة في المِنَّة الربَّانيّة، فدلّ التعميم الذي قُيّدت به التوراة على سَعة علم الله وحكمته، التي اقتضت شمول التوراة لكلّ ما يحتاج إليه الناس حينذاك من أمر الدِّين، مع تعظيم الرِّسالات السّماوية التي تنظِّم شؤون النَّاس بما يصلح لهم، وتكفل استقامة حياتهم

---

(١) ينظر: السابق بصفحته.

(٢) ينظر: نفسه.

(٣) الشنقيطي، العذب النمير ٢/٤٠٤.

ومنهجهم على هدًى من الله وبصيرة؛ لتأتيَ الرسالة الخاتمة مهيمِنة على الرِّسالات السَّماوية السابقة.

٩. تقييد فعل التقريب بـ"**نَجِيًّا**" في قوله: "**وقرَّبك نَجِيًّا**": فيه استقصاء في الوصف ومزيد اختصاص بدلالة الاصطفاء بالتقريب حيث أدناه دون غيره إدناء تشريف وتكريم مناجيًا إيّاه من غير واسطة مَلَك[١]. ووصفُ "**نَجِيًّا**" مأخوذ من: ناجى الرجلُ أخاه مُناجاةً ونِجاءً إذا سارَّه. وفلان نَجِيُّ فلان: أَي: يناجيه، دون غيره. وانْتَجاه؛ إذا اختصَّه بمُناجاته[٢]. ويفرّق السّعديّ (١٣٧٦هـ) بين النِّداء والنِّجاء اللَّذَين وردا في قول الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [سورة مريم: ٥٢] مبيّنًا أهمية هذا القيد بقوله: ((الفرق بين النِّداء والنِّجاء، أنّ النداء هو الصوت الرفيع، والنِّجاء ما دون ذلك، وفي هذه إثبات الكلام لله تعالى وأنواعه، من النِّداء، والنِّجاء، كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة))[٣].

١٠. تقييد الكتابة بـ "**الله**"، وتعليقها بحرف الاستعلاء المضاف إلى ضمير المتكلّم العائد إلى آدم عليه السلام، في قوله: "**كَتَبَهُ اللهُ عليَّ**" فيه دلالة على اعترافه بفداحة تلك الخطيئة، وإيمانه العميق بأنها مصيبة قدّرت عليه من لدن حكيم خبير، يقبل التوبة عن عباده. فقصّة الاستخلاف هي قضاء كونيّ، قدّره قيّوم السموات والأرض

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان ٢١٠/١٨، و المباركفوري، منة المنعم ٢١٩/٤ .

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: نجا.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٩٦ .

ورحيمهما، ولا بدّ من نفاذه؛ فقد أثبته في أُمِّ الكتاب، وحكم أنَّه كائن لا محالة؛ فهل يمكن أن يصدر عن آدم خلاف علم الله؟ فهو يعاتب موسى على الغفلة عن العلم، وتذكُّر الكسب الذي هو السبب، ونسيان الأصل الذي هو القدَر. وليس معناه أنّ الله ألزمه به، وأوجبه عليه؛ فلم يكن له في تناول الشجرة كسب واختيار[١].

وبهذه العناصر التركيبية القائمة على التقييد يتجلّى الثّراء السياقي في البنية الحِجاجيّة، بتتبُّع اللطائف التي بعثتها والدلالات المعنوية التي أسهمت في تحقيق المقاصد النبويّة.

سادسًا: الاستدراج:

عرّفه ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقوله: ((الاستدراج هو التوصُّل إلى وصول الغرض من المخاطَب، والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود، من حيث لا يشعر))[٢]، وبيَّن حازم القرطاجنّيّ (٦٨٤هـ) الأمور التهيِّئيَّة التي يتَّبعها المتكلِّم من أجل أن ينجح في استدراج المخاطَب إلى الأمر المراد منه باستمالته، واستلطافه له بمدحه وتزكيته، أو بإحراجه حتى يصيرَ الكلام مقبولاً عند الحكم[٣].

---

(١) ينظر: الهرري، محمد الأمين، الكوكب الوهاج ٥٤٠/٢٤.

(٢) ابن الأثير، ضياء الدين، الجامع الكبير ٢٣٥. وقد بنى ابن الأثير تعريفه على إشارة من الزمخشري مبيّنًا العلاقة الوثيقة بين بنية الاستدراج والقيمة الحجاجية التي تبثّها، وذلك في معرض حديثه عن قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر: ٢٨، حيث أشار ذلك المؤمن لتصحيح قوله إلى بيّنات عدة، وفي ذلك ((استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم، ويكسر من سورتهم)). الزمخشري، الكشاف ١٦٢/٤.

(٣) ينظر: القرطاجني، منهاج البلغاء ٦٤.

فتظهر بنية الاستدراج الحجاجي[١] في بَسط القضايا بأسلوب ليِّن مبنيّ على مسلَّمات متّفق عليها ؛ لكبحِ نفور المخاطَب ، وحمله على الاستماع والقَبول بالاعتماد على جانبين مهمَّين : نفسيّ ولُغويّ ، أوّلهما يتعلّق بتهيئة الجوِّ النفسيِّ المناسب للمخاطَب ، والآخر يتعلّق بالتلطُّف في الخطاب ، والترقّي فيه بما يناسب المقام من البنى اللُّغويَّة لبلوغ المراد[٢] ؛ لذا يشبِّه يحيى العلويُّ (٧٤٥هـ) صاحب الاستدراج بمن ((يتلطَّف في اقتناص الصَّيد ، فإنّه يعمل في الحِبالة[٣] كلَّ حيلة ؛ ليكون ذلك سبيلاً إلى ما يقصده من الاصطياد ، فهكذا ... إذا أراد تحصيل مقصِد من المقاصد ، فإنه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه))[٤].

ويتدرّج آدم مع موسى عليهما السلام في قصّة المحاجّة وصولاً إلى الإقناع بالقضية سالكًا في بنية الاستدراج المراحل الآتية :

١. الإقرار ، مستدعيًا إلى الذِّهن أعلى الصِّفات التي كرَّمه الله بها ، وهي الاصطفاء بالرِّسالة الإلهيَّة العظيمة ، والتكليم من غير وساطة ، والتقريب الذي خُصّ به.

٢. التسليم بالمنن الربّانيّة التي خصّ الله بها كلاًّ منهما ، والاستفهام عنها على سبيل التذكير والتقرير ، والارتقاء منها إلى ما هو أعلى ، وهو السؤال عن المُدّة التي كتب الله فيها التوراة.

---

(١) للاستزادة من بنية الاستدراج وقيمتها في الحجاج ينظر : جريوي ، عبدالحميد ، بنية الاستدراج الحجاجي في القرآن الكريم.

(٢) ينظر : عطية ، هبة ، الحجاج النبوي للآخر ٣٩٣ -٣٩٤.

(٣) الحِبالة المصيدة. ابن منظور ، لسان العرب : حبل .

(٤) العلوي ، يحيى ، الطراز ١٤٨/٢ .

٣. انتظار الجواب الذي يمهّد للترقّي إلى أهمّ الملابسات في القضيَّة، وهي الاستفهام عن مُدّة أخصّ، هي التي كتب الله فيها التوراة قبل خلق آدم عليه السلام.

٤. الترقّي إلى التسليم بالتقدير الإلهيّ المعجز الذي يأتي بتدبير كونيّ غيبيّ، لا قِبَل للإنسان به.

٥. التدرُّج إلى الاستفهام عن وجود قول الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[سورة طه: ١٢١] في التوراة، مترقّيًا من موسى عليه السلام الجواب البدهيّ المفيد للإقرار.

٦. الصعود نحو قمّة الحِجاج التي هي مناط قضيّته، وهي التعجّب من لوم آدم عليه السلام على أمر ماض تاب منه: **"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"**. وجاء التعجّب والتعجيب بصورة استفهام يستدعي مراجعة النفس؛ وصولاً إلى التسليم بتهاوي الأساس الذي بنى موسى عليه السلام عليه قضيّة المحاجّة، وهي أنّ آدم عليه السلام هو السبب في الإهباط من الجنّة، ويتداعى معه صحّة اللوم والعتاب عليه.

والخلاصة من عرض هذه العناصر أن لها أثرًا جليًّا في إبراز البنية الحِجاجية، وتزويد المقام التَّواصُلي بأعلى مستويات الأداء؛ ولا غرو أن يتحقق الإقناع بتماسكها فـ ((اللُّغة بتقنياتها وتركيبها وتصويرها وبديعها هي أُسّ الحِجاج، وهي ماؤه وهواؤه، وبها حياته))[1]، وهذا هو مناط الوعي الحِجاجيّ.

(١) الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ٢١٥.

المبحث الثالث
تقنيات الحِجاج في القصة

يتطلّب موضوع الاحتجاج بالقدر قوّة عقليَّة، تورد الحجج والبراهين لإبراز ما قد يخفى منها، لاسيما أنّ المعصية التي تاب منها آدم ﷺ، وتقبَّل الرحمن توبته منها، ارتبطت بالإهباط من الجنَّة، وإسكان آدم وذرِّيَّته الأرض، ومن ثَمّ ابتلاؤهم بالصراع مع إبليس وقبيله، فكان إقناع موسى ﷺ بالحجّة، وتوضيح أمر القدر فيها، وإظهار هذا الأصل الإيماني الغيبيّ للناس من قِبل نبيّنا الكريم في سرد فريد يستخدم تقنيات حِجاجيَّة، إقناعيَّة يأخذ بعضها بحجز بعض لإظهار موضوع الحجاج بأعلى مستويات الأداء، وفيما يأتي تحليل لهذه التقنيات:

أوّلاً: الحجاج بالوصف:

الكلام في معظمه راجع إلى الوصف الذي يقوم على الإخبار عن حقيقة الأشياء، وإبراز ما فيها من الأحوال والهيئات[١]، ففيه ((إعطاء صورة ذهنيّة عن مشهد أو شخص، أو إحساس أو زمان للقارئ أو المستمع))[٢]. وهو من أكثر الأساليب حضورًا في الأنساق الخِطابيّة بأنواعها المختلفة شعرًا ونثرًا، ويخدم الوصف في الحِجاج الفكرة باحتوائه على طاقة لُغويَّة إقناعيَّة في الألفاظ المبيِّنة للأفكار والأشخاص والمظاهر والأحداث[٣]. وتظهر هذه التقنية الحِجاجيّة في القصّة فيما يأتي:

---

(١) ينظر: القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده ١٠٩٦/٢.

(٢) جايلي، عمر، نظرية الحجاج اللغوي ١٩٩.

(٣) ينظر: الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار ١٧٨.

١. تخيُّر ألفاظ صريحة الدّلالة على وصف موقف الحِجاج **"احْتَجّ"، "فحَجّ"**، ونظمها في سياق تركيبيّ ينقل المتلقّي إلى صور ذهنيَّة من مشاهد الخلق الأوَّل باستعمال أفعال مجرّدة **"خَلَق" و"نَفَخ"**.

٢. انتقال النَّظْم إلى أفعال مَزيدة، تتعدّى آدمَ المخاطَب ﷺ إلى وصف الحال التي هيأها الله ﷻ من الإكرام والإسكان: **"أَسْجَدَ" و"أَسْكَنَكَ"**، ثم الانتقال منها إلى وصف حاله إزاء هذه النِّعم؛ حيث أزَلّه الشيطان؛ فكان ذلك الأمر سببًا في الهبوط من الجنَّة؛ لذا أُسند إليه كأنّه الفاعل على سبيل المجاز العقليّ، بقوله: **" أَهْبَطْتَ النَّاسَ "**.

٣. اختلاف الإسناد في الأفعال: مما أبرز الحجاج بالوصف بصورة واضحة، حيث دلّ التغاير في الإسناد على أدب موسى ﷺ مع ربّه حيث نسب إليه الخير في **"أسكنك"**، ونسب **"أهبطت"** إلى آدم.

٤. تغاير استخدام دلالتي **"الربّ، الله"** تبعًا للمقام الخِطابيّ الذي يستلزمه الوصف المتعلّق بكلٍّ منهما؛ فقد بدأ نبيّنا الكريم ﷺ عند سرد القِصّة بتعليق موقف الحِجاج بالعِنديَّة للتشريف، واستعمل وصف الربوبيَّة لإبراز معاني الإصلاح والإقامة والملازمة[١]؛ فالربوبيَّة إقامة المربوب على ما خُلق له بحسب ما أبداه وجودُه، وربّ العالمين ربّاهم، ويسّر لهم ما خُلقوا لأجله[٢]؛ فتقتضي هذه الصفة الحكم والقدرة فـ ((ربّ كلّ شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيَّته))[٣]. وفي ورود صفة الربوبيّة مع إضافة آدم وموسى عليهما السلام إلى

(١) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: رب.

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر ١/٢٦٠.

(٣) الجوزية، ابن قيم، مدارج السالكين ١/٥٨.

الضمير العائد إلى الرّبّ ﷻ فيه إيماء إلى معنى المالكيَّة والتربية ؛ مع التشريف بالمكانة الجليلة التي تبوّأها كلٌّ منهما ؛ مما يحيط موقف الحجاج برعاية وتكريم وأمان ، ويثير في النفس ما تقتضيه هذه الصِّفة من العناية التي حفّت كلاًّ منهما ؛ لتُذكي في النفس معانيَ تكريم ربانيّ حظي به كلٌّ منهما ، مع استدعاء مواقفه الجليلة ، وأثره العظيم الذي يمهّد للتعبير بالإلهيّة المطلَقة المناسِبة لما ارتبط بها من المِنن العظيمة ؛ فقد هيّأت لكلٍّ منهما مكانًا عليًّا ، تلته مواقف غيبيّة مُعجزة ، لم تكن لتتحقّق لولا إرادة الله المهيمِنة ومشيئته الكونيّة والشرعيَّة النافذتين ؛ ليتداول كلٌّ منهما الحِجاج مقرِّرًا صاحبه بالنعم ، ومقِرًّا بالقدرة بما تنطوي عليه من تدبير وحكم إلهيَّة ، فقال موسى عليه السلام : **"أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ؟"** ؛ فقال آدم عليه السلام : **"أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ؟"** ؛ وكذا توخّى في أسئلته استعمال هذا الاسم الشريف في قوله : **"فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟"** ، **"أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟"**

٥. اختلاف النَّظْم من الفعل الماضي للمعلوم إلى المبني لما لم يُسمّ فاعله ، **"قبلَ أنْ أُخْلَق"** ليضفيَ زمنًا ماضيًا تحيط به هالة من العظَمة ، التي لا تدرك كنهها العقول ؛ لذا أتت بصيغة المبني للمفعول.

٦. انتقال السرد من الماضي إلى الفعل المضارع ، في قوله : **"قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً"** لاستحضار قصّة الخلق البديع ، وما اكتنفه من دلالات القدرة والجلال والتقدير الإلهيّ المعجِز ، الذي لا تحيط به العقول ، لكن يجب أن تتذكّره ، وتستدعي أحداثه ، بما تنطوي عليه صيغة الفعل من دلالة مصدريّة ، تستحضر قصة بدء الخليقة ، مستدعية آثارها المهمّة في تجديد الإيمان.

٧. الإجمال والتفصيل في التعبير : بوصف مُجمَل بالفاء أوَّلاً في قوله : **"فَحَجَّ**

آدَمُ مُوسَى"، وفصْل للحِجاج يقوم على الإجمال والحذف على طريقة المحاورات بين القصص، كما في قوله: **"قَالَ مُوسَى"**، لترك فجوة للذهن للتفكير في الموقف أثناء انتقال الحِجاج بين الطرفين. ويصاحب الإجمال عرض مفصّل، يحمل مسلَّمات لا تُنكر، جاء الردّ عليها بأوصاف تستدعي مسلَّمات تعريفيَّة تأكيديّة، تتعلّق بالطرف الثاني، وهو موسى ﷺ، بخصائص معروفة لدى الناس جميعًا؛ لتذكيره وإقراره.

٨. الاستقصاء في تصوير التقريب في قوله: **"وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا"**: للدلالة على أنّ الله قرّب موسى ﷺ إليه قُربًا يليق بجنابه حال كونه مناجيًا له؛ فجاء الِحجاج بالوصف دقيقًا، يحمل دلالة حِجاجيّة، توحي باصطفاء عظيم، يحمله وصف القرب والمناجاة بما ينطوي عليه من تكريم حظي به كليم الله ﷺ دون سائر البشر.

فيظهر بتأمُّل تقنية الحجاج بالوصف في القصَّة كيف تبدو الألفاظ سابحة في الفضاء الحِجاجيّ مُسلِمة زمامها للنبيّ الكريم ﷺ، يطلق عِنانها بكلِّ اقتدار متصرِّفًا فيها كيف يشاء! متوخِّيًا أدقّ المعاني، وأجود النّظوم التي تناسب الوصف، وتحلّي المقام الحِجاجيّ ببلاغة نبويّة ملّكه الله قيادها، فهو يُركضها في ميدان البيان محقّقًا أعلى مستويات التواصل والإبلاغيّة.

ثانيًا: الحجاج بالدليل:

تتبوّأ هذه التقنية مكانًا عليًّا في الحِجاج؛ فالأدلّة بأنواعها تحمل قوَّة إقناعيَّة تدعم مقام الخطاب الحِجاجيّ؛ وتعدّ الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويّة من الحُجج الجاهزة التي ((تكتسبُ قوَّتها من مصدرها، ومن مُصادَقة الناس عليها، وتواتُرها))[1] لكونها تعلو الكلام العادي.

---

(١) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي ٩٠.

وتنقسم الأدلة من حيث الاتفاق والمخالفة مع الأصل القرآنيّ قسمين: أوّلهما الموافق للأصل القرآنيّ تمامًا. والآخر المخالف له سواء في التقديم والتأخير، أو الخبر والإنشاء، أو الفعليّة والاسميَّة، أو الخطاب والغَيبَة وغير ذلك[1].

والمتأمّل في أسلوب الحديث الشريف يجده يعمد إلى توظيف التركيب القرآنيّ ضمن ألفاظه وصياغاته؛ حيث يسوق الأدلّة المختلفة لتقوية المعاني الحِجاجية على النحو الآتي:

١.بَدء عرض القضيَّة في كلام موسى ﷺ: **"خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ"**.لتوكيد المنزلة التي خصّ الله بها آدم؛ فاستشهد بجملتي **"نَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ "** من قصّة الحوار بين الله وملائكته حين أخبرهم بمكانة آدم ﷺ وسموّ خلقه، وأمر الملائكة بالسجود له فور رؤيته بشرًا سويًّا، وجاء أمر السجود لآدم في ثمانيَ آيات:

جاء الأمر للملائكة بالسجود في اثنتين منها، وهي قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحجر: ٢٩، وسورة ص: ٧٢].

واقترن أمر السجود بالإخبار عن امتثال الملائكة له وتخلُّف إبليس، في خمس آيات من المتشابه هي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[سورة البقرة: ٣٤، وسورة الإسراء: ٦١، وسورة الكهف: ٥٠، وسورة طه: ١١٦]. وقوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾[سورة الأعراف: ١١].

---

(١) ينظر: العبيدي، محمد، توظيف التركيب القرآني في البيان النبوي ٥.

وأشارت آية ثامنة إلى قصّة الإسجاد في تبكيت إبليس لتخلُّفه عن طاعة ربِّه مقرونة بالتكريم الذي حباه الله لآدم في الخلق بيدي الله، هي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [سورة ص].

٢. جاء الحجاج بالدليل كذلك في ردّ آدم عليه السلام في قوله: **"اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ"**، فقرّره بالاصطفاء بالرِّسالات والكلام دون وساطة، وهو دليل قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [سورة الأعراف].

٣. حاججه بالتكريم بإعطاء الألواح بما لها من منزلة بيانيَّة عالية في قوله: **"وَأَعْطَاكَ الألوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ"**، وهو دليل من قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥].

٤. ذكّره بالتقريب والتكليم في قوله: **"وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا"** ودليله في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [سورة مريم].

والملحوظ أنّ هذه المنن التي توجّه فيها موسى عليه السلام بالخطاب إلى آدم عليه السلام، وكذا التي جاءت في ردِّ آدم على سبيل التقرير، جاءت من النوع الثاني الذي اختلفت فيه الصياغة عن الأصل القرآنيّ، فوردت جميعها في آيات القرآن في معرِض قصصيّ بضمائر الغَيبة، لكنّ الحِجاج بالأدلَّة في الحديث الشريف أتى بها مع ضمير الخطاب المباشر؛ لأنّ جميعها حملت كرامات، يراد مواجهة المخاطَب بها، وتذكيره بتلبُّسه التامّ بها، واستشعار مِنّة الله في كلٍّ منها، والحصول على إقراره.

من تقنيات الحجاج بالدليل التي وُظّفت في الحديث النبويّ وَفق النوع الثاني الموافق للأصل القرآنيّ الجملة الخبريَّة في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [سورة طه]. وفي هذا ما فيه من الأثر الحِجاجيّ التَّواصليّ؛ إذ جاءت الجملة في

الحديث الشّريف بمثابة التفات من ضمير الخِطاب إلى الغَيبة، فلم يرغب آدمُ ﷺ في نسبة القِصّة إلى نفسه بأن يقول: فهل وجدت فيها أنّني عصيتُ ربِّي وغويت؟ بل جعلها كما هي بضمير الغيبة؛ لأنها مناط حدث تاب منه، ويريد توضيح كونه أمرًا قدّره الله عليه، وقد تاب منه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

ثالثًا: الحِجاج بالسبب:

عرف الكفَويّ (١٠٤٩هـ) السبب بقوله: ((ما يكون وجود الشيء موقوفًا عليه...والسبب والعلة يطلقان على معنًى واحد))[١]، فيتحقّق بإبراز الأسباب والعلل: ((التثُّبت والاطمئنان بصحَّة الخبر أو الحكم))[٢]. كما تتجلّى أهمية الحِجاج بالسَّبب في أنّ ((إثبات الشيء معلَّلاً آكد من إثباته مجرّدًا من التعليل))[٣]؛ فللإنسان ميلٌ فطريٌّ لربط الأشياء بمسبِّباتها؛ ليكون أدعى للاقتناع.

فيقوم الحجاج بالسبب على الرَّبط بين أجزاء الحقائق، وتجلية العلل التي لأجلها تتشكّل الموضوعات، وإن وُجد السبب كان المسبَّب عنه ثمرة لوجودِه، بتلازم سببيٍّ عقليّ[٤]؛ لذا كان للتعليل وذكر الأسباب قيمته الجليلة في الأنساق الحواريَّة التي تقصد إلى الإخبار بالمسائل المهمَّة؛ وإثباتها، وتعزيز الاقتناع بها.

وفي قصة الحجاج بين آدم وموسى يظهر أثر جعل السبب موضوعًا للإقناع بالأمر في موضعين اثنين بحرفي الباء والفاء، ليتحقق بكلٍّ منهما مرحلة مفصليّة مهمّة في الحجاج، وفيما يأتي تفصيلهما:

---

(١) الكفوي، الكليات ٥٠٤.

(٢) نهر، هادي، التراكيب اللغوية ٤٧.

(٣) العلوي، يحيى، الطراز ١٣٩/٣.

(٤) ينظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن ٣٧٦.

١. قول موسى ﷺ: **"أَهبطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئتكَ..."** فكان محور حُجّته قائمًا على السَّببيَّة، التي أدّاها حرف الباء، وذكر المالقيّ (٧٠٢هـ) أنه في كلام العرب لا يكون إلاّ جارًّا، ومن معانيه السببيّة[١] فجعل هذا التعلّق الخطيئة مضافة إلى آدم بالباء؛ لتكون سببًا للإهباط، ((وذكر الشيء معلَّلاً مما يقوِّي تأثيره في النفس، وثقتها به))[٢].

٢.تعقيب نبيِّنا الكريم ﷺ على القصّة في قوله: **"فحَجّ آدمُ مُوسى...."** جاء بالفاء السببيّة التي بيّن ابن يعيش (٦٤٣ هـ) مجيئها مع الجزاء الذي لا يصلح الابتداء به، فيفتقر إلى ما يربطه بما قبله، فيؤتى معه بالفاء؛ لأنها تؤذِن بأنّ ما بعدها مسبَّب عمّا قبلها؛ وليس في حروف العطف حرف بهذا المعنى، المفيد للسَّببيَّة مع الرَّبط والترتيب[٣]. فكان التعقيب ردًّا لسبب الإهباط؛ و ((صحّت الحُجّة فى هذه القصّة لآدم على موسى؛ من أجل أنّ الله قد غفر لآدم ﷺ خطيئته، وتاب عليه، فلم يكن لموسى ﷺ أن يعيره بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال آدم: أنت موسى الذي آتاك الله التوراة، وفيها علم كلِّ شيء فوجدت فيها أنّ الله قد قدّر علىّ المعصية، وقدّر عليّ التوبة منها، وأَسقط بذلك اللوم عنِّي. أتلومنى أنت، والله لا يلومنى؟))[٤]؛ فاحتجاج آدم ﷺ بالقدَر على أمر ماض، تاب منه، وندم عليه كان علّة لتفوُّقه في الحُجّة.

وبهذين السِّياقين في المقام الحِجاجيّ ظهر أثر الاعتماد على تقنية الحجاج بالسبب بوصفها معزِّرَة لأفكار المتكلِّم داعمة لها، فربط الأشياء بأسبابها مهم جدًّا في

---

(١) ينظر: المالقي، رصف المباني ١٤٢ -١٤٤.

(٢) نهر، هادي، التراكيب اللغوية ٤٧ .

(٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ١١١/٥.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخارى٣١٥/١٠ .

تحريك الوجدان نحو موضوع الحِجاج حيث يأتي ((خادمًا للفكرة من حيث احتواؤه على طاقة لُغويّة إقناعيَّة كامنة في تلك الألفاظ الواصفة للأفكار والأشخاص، والمظاهر والأحداث))[١].

رابعًا: الحجاج بالتصوير:

يمثّل التّصوير تقنية مهمَّة في الخطاب الحِجاجيّ؛ وهو بمعناه الخاصّ مغاير للكلام المباشر؛ فيشمل التّشبيه والمجاز بنوعيه المرسل والعقليّ والاستعارة والكناية، وللتَّصوير في الخطاب الحِجاجيّ ((تأثير جماليّ إقناعيّ يدفع المتلقّي إلى الاستجابة، فعبْر هذه الآليَّة تتجسد المعاني أمام المخاطَب، فتسهم بحدٍّ كبير في فَهمه للأشياء، والاقتناع بما يتضمّنه موضوع الحديث. فالمجاز ليس مجرّد زخرفة، وإنما هو لغة مركّبة، طوّرها الإنسان ليدرك بها حالات إنسانيّة، لا يمكن للُّغة النثريّة العاديّة أن توصلها))[٢].

وظهر في قصّة الحِجاج بين موسى وآدم التصوير بالمجاز في قول موسى عليه السلام: **"أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ"** و ((فيه: إطلاق نسبة الشيء إلى من له تسبُّب فيه))[٣]؛ وظهر في قصّة الحِجاج بين موسى وآدم التصوير بالمجاز في قول موسى عليه السلام: **"أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرضِ"** و ((فيه: إطلاق نسبة الشيء إلى من له تسبُّب

(١) الدكان، محمد، الدفاع عن الأفكار١٧٨.

(٢) المسيري، عبدالوهاب، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد ١٠١.

(٣) ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٦١٥/٢٢ .

فيه))[١] ؛ إذ ظنّ أنه لو لَم تقع خطيئة الأكل من الشجرة ؛ لَم يقع الإهباط من الجَنَّة المسبَّب عنها[٢].

فيتجلّى الأثر البيّن للمجاز في الوصول إلى الإبلاغيّة، ولا غرو أن تكون له هذه المكانة، وهو: ((آليّة ذهنيّة يبني من خلالها الإنسان تصوُّراته لهُويّات الأشياء، ويُمكنه أن يوسِّع هذا البنيان، أو يغيِّره، أو يحوّله أو يجّدده كلّما استجدّت تجربته. وعبر هذه الآليَّة التي يغيِّر بها الإنسان بناءاته المجازيّة يتغير فَهمه للأشياء))[٣]. وبهذه الصورة يتجلّى إسهام المجاز في الموقف الحِجاجيّ في القصّة.

وبهذا تكتمل تقنيات الحجاج التي برزت في صور أربع هي الحجاج بالوصف وبالدليل وبالسبب، وبالتصوير وتعاضدت فيما بينها لإبراز الأمور المفصليَّة في قضيَّة الاحتجاج بالقدر والإقناع بها.

---

(١) السابق بصفحته.

(٢) ينظر : الولوي، البحر المحيط الثجاج ٤٢٥/٤١ .

(٣) الديري، علي، مجازات بها نرى، كيف نفكر بالمجاز؟ ٢١ -٢٢.

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على نعمه، وأصلي وأسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فقد آن لهذه الرحلة أن تنقضي، وللمسير في هذا البحث أن ينتهي، بعد أن سعى إلى تحليل قِصّة الحجاجِ النَّبويّ بين آدم وموسى عليهما السلام، مبيّنًا منطلَقات الحِجاج التي قامت عليها، كاشفًا عن بنية الحجاج وتقنياته التي تضافرت معًا لأداء أعلى مستويات التواصُل، وأرفع غايات الإقناع.

وتلخّصت نتائج الدراسة فيما يأتي:

١. تكامُل منطلَقات الحِجاج النّبويّ في قصة المحاجّة؛ إذ وظِّفت المنطلَقات بطريقة إقناعيّة فذّة أخذ بعضها بحجز بعض في ترابط عجيب.

٢. تميُّز بنية الحِجاج في القصة بتماسك وإحكام يسهم في صناعة الإقناع الخِطابيّ، وتجلية القضيّة بجوانبها المختلفة، وتجنيد أقصى طاقات الإقناع والسّرد لتحقيق الغاية التواصلية بأسمى المعاني، وأرقى الدلالات.

٣. ظهور تقنيات الِحجاج النَّبويّ بصورها المتنوعة، بما تتضمنه من احتواء للخلاف بين الأطراف المتنوِّعة، من حيث سموّ اللغة، وجمعها بين الإقناع والإمتاع.

وخلُصت الدِّراسة إلى التوصية بالآتي:

١. الإفادة من الخطاب الحِجاجيّ النَّبويّ في التصدِّي للقضايا الخلافيَّة، وترسيخ الغايات الإقناعية في المقامات التواصُلـيّة التفاعُلـيّة؛ وصولاً إلى القَبول والتأثير.

٢. بذل المزيد من العناية بالخِطاب الحِجاجيّ، وتكاتف الجهود في التدريب على مبادئه وتقنياته، وإنشاء فرق بحثيَّة، تمتاح منابعه الإسلامية، وتستلهم أصوله التراثيَّة، وتسهم في فهم أثره البليغ في شؤون الحياة المختلفة.

وفي الختام أسأل الله أن يكون هذا البحث لبنة في بناء البلاغة النبويّة، وعونًا لمن

رغب في فهم المقاربة التطبيقيّة للحِجاج، وزادًا من التقوى في الدنيا، وعُدة خير للأخرى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين!

ثبت المصادر والمراجع

[١] ابن الأثير (ضياء الدين) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد، وزميله: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ.

[٢] ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق دار الفلاح: دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨ م.

[٣] ابن النقيب (جمال الدين) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تحقيق زكريا سعيد: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

[٤] ابن باديس (عبدالحميد) مجالس التذكير من حديث البشير النذير: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط١، ١٩٨٣م.

[٥] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم: : مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

[٦] ابن تيمية، الاحتجاج بالقدر، إشراف زهير الشاويش، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م.

[٧] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، صححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات عبد العزيز بن باز.

[٨] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق السيد أحمد صقر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

[٩] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، عني به: محمد عوض مرعب، وفاطمة

أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
[١٠] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر: دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
[١١] ابن قيم (الجوزية) مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، تحقيق محمد البغدادي: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
[١٢] ابن منظور، لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
[١٣] ابن يعيش (موفق الدين) شرح المفصل للزمخشري: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
[١٤] أبو زهرة (محمد) المعجزة الكبرى القرآن: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٠هـ.
[١٥] الأذرعي (صدر الدين) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد الله التركي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٩٩٧م.
[١٦] الأصفهاني (الراغب) المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
[١٧] الأيوبي (ياسين)، شرح تلخيص المفتاح: المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
[١٨] بارت (رولان)، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ١٩٩٤م.
[١٩] بدوي (أحمد) من بلاغة القرآن: نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
[٢٠] بروطون (فيليب)، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، وعبدالواحد التهامي: المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

[٢١] البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل الغرازي: دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

[٢٢] البقاعي (برهان الدين)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ .

[٢٣] التفتازاني (سعد الدين) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

[٢٤] الجاحظ، البيان والتبيين: دار ومكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ.

[٢٥] الجاحظ، الحيوان: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ .

[٢٦] جايلي (عمر)، نظرية الحجاج اللغوي عند "أوفالد ديكرو وأنسكومبر" مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب العدد ٣، ٢٠١٨م.

[٢٧] الجرجاني (عبدالقاهر) دلائل الإعجاز، علق عليه محمود شاكر: دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣هـ.

[٢٨] جريوي (عبدالحميد)، بنية الاستدراج الحجاجي في القرآن الكريم، قصة إبراهيم نموذجًا: مجلة البحوث والدراسات، العدد١٢، السنة ٨، الجزائر، ٢٠١١م.

[٢٩] الجمعاوي (أنور)، استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية، مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٣م.

[٣٠] الجوزية (ابن قيم)، بدائع الفوائد، تحقيق د.محمد الإسكندراني وزميله: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .

[٣١] الخطابي، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل)، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام: دار المعارف، القاهرة، ط٤ .

[٣٢] الدريدي (سامية)، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب، عمّان، ط١، ٢٠٠٨م.

[٣٣] الدعجي (توفيق)، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته، "قراءة في الخطابة الجديدة": مركز كانو الثقافي، صحيفة الوسط، البحرين، العدد ٢٧٧٨، ١٥/ إبريل/٢٠١٠م.

[٣٤] الدكان (محمد) مشهد السرد في الحديث النبوي، دراسة في قصص الصحيحين: الرياض، ط٢، ١٤٣٩هـ.

[٣٥] الدكان (محمد)، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

[٣٦] الديري (علي) مجازات بها نرى، كيف نفكر بالمجاز؟ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.

[٣٧] رزقي (الطيب)، البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: قسطنطينة، جامعة منتوري، ٢٠١٧م .

[٣٨] الزحيلي (وهبة)، الفقه الإسلامي وأدلته: دار الفكر، دمشق، ط٤ منقحة.

[٣٩] الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ .

[٤٠] الزماني (كمال) حجاجية السجع والجناس في الخطاب المقدماتي، مقدمة المقدمة لابن خلدون: مجلة دراسات، مجلد ٧، عدد٩٠.

[٤١] الزمخشري (جار الله)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وبذيله الانتصاف لابن المنيِّر، دار المعرفة، بيروت.
[٤٢] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود: دار المعرفة، بيروت.
[٤٣] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
[٤٤] السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
[٤٥] شارودو (باتريك) وزميله، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري، وحمادي صمود: دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٣م.
[٤٦] شروح التلخيص (المختصرللتفتازاني، ومواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح للسبكي، وبالهامش الإيضاح للقزويني، وحاشية الدسوقي): دار الكتب العلمية، بيروت.
[٤٧] الشنقيطي (محمد الأمين)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، علق عليه خالد السبت: دار ابن القيم، الدمام، ودار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
[٤٨] الصامل (محمد)، الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، مع تحقيق رسالة في بيان الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا ودراستها: دار إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
[٤٩] صمود (حمادي) وفريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف كلية الآداب والفنون والعلوم

الإنسانية، منوبة، تونس، ط١، ١٩٩٨م.

[٥٠] صولة (عبدالله) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتكا، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إعداد فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، ط١، ١٩٩٨م.

[٥١] صولة (عبدالله)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: دار الفارابي، بيروت، وكلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، ط٢، ٢٠٠٧م.

[٥٢] صولة (عبدالله)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ١٠١١م.

[٥٣] الطبري (ابن جرير) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

[٥٤] الطلبة (محمد)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر: دار الكتاب الجديد، بنغازي، ط١، ٢٠٠٨م.

[٥٥] الطيبي (شرف الدين)، التبيان في البيان، تحقيق عبد الستار زموط: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

[٥٦] العايش (سهير)، الحجاج في الخطاب النبوي، أحاديث العبادات والمعاملات أنموذجًا: جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، ٢٠١٥م.

[٥٧] عبدالرحمن (طه) مراتب الحجاج وقياس التمثيل: جامعة سيدي محمد بن عبدالله، المغرب، العدد٩، ١٩٨٧م.

[٥٨] عبدالمطلب (محمد)، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط٢، ٢٠٠٧م.

[٥٩] عبيد (حاتم)، الباتوس، من الخطابة إلى تحليل الخطاب، من الاحتجاج بالعواطف إلى الاحتجاج للعواطف: مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيل علوي: عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٠م، الجزء الرابع الحجاج والمراس.

[٦٠] العزاوي (أبوبكر)، اللغة والحجاج: مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

[٦١] العسكري (أبو هلال)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل: المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

[٦٢] عطية (هبة) الحجاج النبوي للآخر، دراسة لغوية تداولية: دار النابغة، طنطا، ط١، ٢٠٢١م.

[٦٣] العلوي (يحيى) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

[٦٤] عمران (قدور)، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل: عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٢م.

[٦٥] العمري (محمد)، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربي، الخطابة في القرن الأول نموذجًا، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٢م.

[٦٦] العيني (بدر الدين)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٦٧] العييدي (محمد)، توظيف التركيب القرآني في البيان النبوي، دراسة بلاغية: الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٢م.

[٦٨] القرطاجني (حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

[٦٩] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

[٧٠] القزويني (الخطيب) الإيضاح في علوم البلاغة، راجعه وصححه بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

[٧١] القيرواني (ابن رشيق)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي شعلان: مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.

[٧٢] كاظم (مثنى)، أسلوبية الحجاج التداولي تنظير وتطبيق على السور المكية: كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١٥م.

[٧٣] الكفوي (أبو البقاء) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

[٧٤] لاشين (موسى)، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

[٧٥] اللبدي (محمد) معجم المصطلحات النحوية والصرفية: دار الفلاح، عمّان، ط٤، ٢٠١١م.

[٧٦] لوبون (غوستاف) روح الاجتماع، ترجمة أحمد زغلول: وكالة الصحافة

العربية، القاهرة، ٢٠١٩م.
[٧٧] المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد الخراط: مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
[٧٨] المالكي (عبدالعزيز)، الحجاج في ضوء السنة النبوية، دراسة حديثية موضوعية، جامعة القصيم، كلية الشريعة، ١٤٣٩هـ.
[٧٩] المباركفوري (صفي الرحمن) منة المنعم في شرح صحيح مسلم، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.
[٨٠] المتنبي (أبو الطيب) ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٥٧هـ.
[٨١] المرادي (الحسن)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
[٨٢] المسيري (عبدالوهاب)، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، ط١، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.
[٨٣] المغامسي (آمال) الحجاج في الحديث النبوي، دراسة تداولية: الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٦م.
[٨٤] الناجح (عز الدين)، العوامل الحجاجية في اللغة العربية: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١١م.
[٨٥] نهر (هادي)، التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية: مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.
[٨٦] النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

[٨٧] الهرري (محمد الأمين)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، المسمَّى الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠٩ م.

[٨٨] الولوي (محمد)، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٦ هـ.

References

Top of Form
[1] aibn al'uthir (dya' aldiyn) aljamie alkabir fi sinaeat almanzum min alkalam walmanthur, tahqiq mustafaa jawad, wazamilihi: matbaeat almajmae aleilmii aleiraqia, 1375hu.
[2] abn almalaqni,altawdih lisharh aljamie alsahihi, tahqiq dar alfalahi: dar alnawadira, dimashqa, ta1, 2008 mi.
[3] abn alnaqib (jumaal aldiyn) muqadimat tafsir aibn alnaqib fi eilm albayan walmaeanii walbadie wa'iiejiaz alqurani, tahqiq zakariaa saeid: maktabat alkhanji, alqahirati, ta1, 1415h.
[4] aibn badis (eabdalhamidi) majalis altadhkir min hadith albashir alnadhir: matbueat wizarat alshuwuwn aldiyniati, ta1, 1983m .
[5] abn bataali, sharh sahih albukhari, tahqiq 'abu tamim yasir bn 'iibrahima: : maktabat alrushdi, alrayad, ta2, 2003mi.
[6] abin taymiatu, alaihtijaj bialqudri, 'iishraf zuhayr alshaawish, kharaj 'ahadithuh muhamad nasir aldiyn al'albani, almaktab al'iislamia, bayrut, ta5, 1986m.
[7] aibn hajar,fath albari sharh sahih albukhariu, dar almaerifati, bayrut, 1379h, raqm kutubih wa'abwabih wa'ahadithih muhamad fuad eabd albaqy, sahahah wa'ashraf ealaa tabeih muhibu aldiyn alkhatibi, waealayh taeliqat eabd aleaziz bin bazi.
[8] abn fars, alsaahibiu fi fiqh allughati, tahqiq alsayid 'ahmad saqra: matbaeat eisaa albabi alhalbi, masr.
[9] abn fars, muejam maqayis allughati, eaniy bihi: muhamad eawad mureibi, wafatimat 'aslan, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, ta1, 1422h .
[10] abn qutaybata, tawil mushkil alqurani, sharhah alsayid 'ahmad saqra: dar altarathi, alqahirati, ta2, 1393hi.
[11] abn qiam (aljawziati) madarij alsaalikin bayn manazil "'iiak naebud wa'iiaak nastaein", tahqiq muhamad albaghdadii: dar alkitaab alearabii, bayrut, 1996m .
[12] abn manzurin, lisan alearabi: dar sadir, bayrut, ta1, 1997m .
[13] abn yaeish (muafaq aldiyn) sharh almufasal lilzumakhshari: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 2001m.
[14] 'abu zahra (muhamadu) almuejizat alkubraa alqurani: dar alfikr alearabii, alqahirati,1390h .
[15] al'adhraeiu (sadar aldiyn) sharh aleaqidat altuhawiati, tahqiq shueayb al'arnawuwt waeabd allah alturki: muasasat alrisalati, bayrut, ta10, 1997m.

[16] al'asfahani (alraghibi) almufradat fi ghurayb alqurani, tahqiq muhamad khalil eitaniin, dar almaerifati, bayrut, ta1, 1418h .
[17] al'uyubi (yasyn), sharh talkhis almuftaahi: almaktabat aleasriati, bayrut, ta1, 1423h.
[18] bart (rulan), qira'at jadidat lilbalaghat alqadimati, tarjamat eumar 'uwkan, dar 'afriqia alsharqa, almaghribi, ta1, 1994m.
[19] badawi ('ahmadu) min balaghat alqurani: nahdat masiri, alqahirat, 2005m.
[20] brutun (filib), alhujaaj fi altawasuli, tarjamat muhamad mishbal, waeabdalwahid altahami: almarkaz alqawmiu liltarjamati, alqahirat, ta1, 2013m.
[21] albaghdadiu, alfaqih walmutafaqihi, tahqiq eadil algharazi: dar abn aljuzi, alrayad, ta2, 1421hi.
[22] albiqaeiu (barhan aldiyn), nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, dar alkitaab al'iislami, alqahirati, ta2, 1413h .
[23] altiftazani (saed aldiyn) almutawal sharh talkhis miftah aleulumi, tahqiq da.eabd alhamid hindawi: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1422h .
[24] aljahizi, albayan waltabyinu: dar wamaktabat alhilali, birut: 1423 hi.
[25] aljahiz, alhayawani: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta2, 1424h .
[26] jayli (emr), nazariat alhujaaj allughawii eind "'uwfalid dikru wa'anskumbir" majalat aleumdat fi allisaniaat watahlil alkhitab aleadad 3, 2018m.
[27] aljirjani (eabdalqahiri) dalayil al'iiejazi, ealaq ealayh mahmud shakri: dar almadani, jidat, ta3, 1413h.
[28] juriwi (eabdalhamid), binyat aliastidraj alhujajii fi alquran alkarimi, qisat 'iibrahim nmwdhjan: majalat albuhuth waldirasati, aledadi12, alsunat 8, aljazayar, 2011m.
[29] aljameawiu ('anuar), astiratijiaat alhujaaj fi almunazarat alsiyasiati, munazarat altanafus ealaa alriyasat bayn nikula sarkuzi wafransua hulandi: almarkaz alearabia lil'abhath wadirasat alsiyasati, aldawhat, 2013m.
[30] aljawzia (abin qim), badayie alfawayidi, tahqiq du.muhamad al'iiskandirani wazamiliha: dar alkutaab alearabii, bayrut, ta1, 1422h .
[31] alkhatabi, bayan 'iiejaz alquran (daman thalath rasayila), tahqiq muhamad khalf allah, wamuhamad zaghlul salam: dar almaearifi, alqahirati, ta4 .

[32] aldiridi (samiatun), alhujaaj fi alshier alearabii alqadim min aljahiliat 'iilaa alqarn althaani lilhijrati, biniatih wa'asalibiha, ealam alkutub, emman, ta1, 2008m.
[33] aldaeji (twfiq), alhajaji: 'atruh wamuntalaqatuh watiqniaatuhu, "qara'at fi alkhitabat aljadidati": markaz kanu althaqafii, sahifat alwasati, albahrayni, aleadad 2778, 15/ 'iibril/2010m.
[34] aldukaan (muhamadu) mashhad alsard fi alhadith alnabawii, dirasat fi qisas alsahihayni: alriyad, ta2, 1439h.
[35] aldukaan (muhamad), aldifae ean al'afkar, takwin malakat alhujaaj waltanazur alfikri, markaz nama' lilbuhuth waldirasati, bayrut, ta1, 2014m.
[36] aldiyri (eali) mijazat biha nuraa, kayf nufakir bialmajazi? almuasasat alearabiat lildirasat walnushri, bayrut, 2006m.
[37] rizqi (altiyb), albinyat alhujajiat fi kitab alluwlu walmarjan fima atufiq ealayh alshaykhani: qustantinatu, jamieat minturi, 2017m .
[38] alzuhayli (whbatun), alfiqh al'iislamii wa'adlathu: dar alfikri, dimashqa, ta4 munaqahatun.
[39] alzarkashiu (bdar aldiyn), alburhan fi eulum alqurani, tahqiq muhamad 'abi alfadl 'iibrahim: riasat 'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta', alrayadi, altabeat althaalithata,1400h .
[40] alzamani (kamal) hajajiat alsije waljinas fi alkhitab almuqadamati, muqadimat almuqadimat liabn khaldun: majalat dirasati, mujalad 7, eadad90.
[41] alzamakhashari (jaar allah), alkashaf ean haqayiq altinizil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, wabidhaylih alaintisaf liaibn almnyir, dar almaerifati, bayrut .
[42] alzamakhshari, 'asas albalaghati, tahqiq eabd alrahim mahmud: dar almaerifati, bayrut.
[43] alsakaki, miftah aleulumi, tahqiq eabd alhamid hindawiin: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1420h .
[44] alsiuti (jalal aldiyn), al'iitqan fi eulum alqurani, tahqiq muhamad 'abi alfadl 'iibrahim, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahirati, 1974m.
[45] sharudu (batrik) wazamiluhi, muejam tahlil alkhatabi, tarjamat eabdalqadir almahiri, wahamaadi samudi: dar sinatra, almarkaz alwataniu liltarjamati, tunis, 2013m.
[46] shuruh altalkhis (almukhtasarliltiftazani, wamawahib alfataah liabn yaequb almaghribi, waearus al'afrah lilsabki,

wabialhamish al'iidah lilquzwini, wahashiat aldisuqii): dar alkutub aleilmiati, bayrut .

[47] alshanqiti (muhamad al'amin), aleadhb alnamyr min majalis alshanaqiti fi altafsiri, ealaq ealayh khalid alsabti: dar aibn alqim, aldamam, wadar aibn eafan, alqahirati, ta1, 1424h .

[48] alsaamil (muhamad), al'uslub alhakim dirasat balaghiat tahliliatun, mae tahqiq risalat fi bayan al'uslub alhakim liabn kamal basha wadirastiha: dar 'iishbilya, alrayad, ta1, 1422h.

[49] smud (hmadi) wafariq albahth fi albalaghat walhajaji, 'ahamu nazariaat alhujaaj fi altaqalid algharbiat min 'aristu 'iilaa alyawmi, 'iishraf kuliyat aladab walfunun waleulum al'iinsaniati, manubata, tunus, ta1, 1998m.

[50] sawla (eabdallah) alhajaaj 'atrah wamuntalaqatih watiqniaatih min khilal (musanaf fi alhajaji, alkhatabat aljadidati) libirlman watitka, dimn 'ahami nazariaat alhujaj fi altaqalid algharbiati, 'iiedad fariq albahth fi albalaghat walhajaji, 'iishraf hamaadi samud, kuliyat aladab walfunun waleulum al'iinsaniati, manubata, tunis, ta1, 1998m.

[51] sawla (eabdallah), alhujaaj fi alquran min khilal 'ahami khasayisih al'uslubiati: dar alfarabi, bayrut, wakuliyat aladab walfunun waleulum al'iinsaniati, manubata, tunis, ta2, 2007m.

[52] sawla (eabdallah), fi nazariat alhujaaj dirasat watatbiqati: miskilyani lilnashri, tunis, ta1, 1011m.

[53] altabari (abin jrir) jamie albayan fi tawil alqurani, tahqiq 'ahmad shakir: muasasat alrisalati, ta1, 2000m.

[54] altalaba (muhamad), alhajaaj fi albalaghat almueasirati, bahath fi balaghat alnaqd almueasiri: dar alkitab aljadid, binghazi, ta1, 2008m.

[55] altaybi (sharaf aldiyn), altibyan fi albayan, tahqiq eabd alsataar zamuta: dar aljili, bayrut, ta1, 1416h .

[56] aleayish (shir), alhujaaj fi alkhitab alnabawii, 'ahadith aleibadat walmueamalat anmwdhjan: jamieat alearabii bin mahidi, aljazayir, 2015m.

[57] eabdalrahman (tah) maratib alhajaaj waqias altamthili: jamieat sayidi muhamad bin eabdallah, almaghribi, aleudadu9, 1987m.

[58] eabdalmutalib (muhamad), albalaghat alearabiat qira'at 'ukhraa, alsharikat almisriat alealamiat lilnashri, ta2, 2007m.

[59] eubayd (hatim), albatws, min alkhitabat 'iilaa tahlil alkhatabi, min alaihtijaj bialeawatif 'iilaa alaihtijaj lileawatifi: maqal

dimn kitab alhujaj mafhumih wamajalatiha, dirasat nazariat watatbiqiat fi albalaghat aljadidati, hafiz 'iismaeil ealawi: ealim alkutub alhadithi, 'iirbid, ta1, 2010ma, aljuz' alraabie alhajaaj walmurasi.

[60] aleazaawi (abubukri), allughat walhajaji: muasasat alrihab alhadithatu, bayrut, ta1, 2009m.

[61] aleuskari ('abu hilal), kitab alsinaeatayn alkitabat walshaera, tahqiq eali albajawi, wamahmad 'abu alfadal: almaktabat aleasriatu, bayrut, ta1, 2006m.

[62] etia (hbati) alhujaaj alnabawii lilakhara, dirasat lughwiat tadawuliatun: dar alnaabighati, tanta, ta1, 2021m.

[63] alealawi (yhiaa) altiraz almutadamin li'asrar albalaghat waeulum haqayiq al'iiejazi, tahqiq da.eabd alhamid hindawi: almaktabat aleasriati, sayda, bayrut, ta1, 1423h .

[64] eimran (qdur), albued altadawuliu walhujajiu fi alkhitab alquranii almuajah 'iilaa bani 'iisrayiyl: ealim alkutub alhadithi, 'iirbid, 2012m.

[65] aleumari (muhamad), fi balaghat alkhitab al'iiqnaeii, madkhal nazariun watatbiqiun lidirasat alkhitabat alearabii, alkhatabat fi alqarn al'awal nmwdhjan ،'afriqia alsharqa,aldaar albayda', ta2, 2002m.

[66] aleayniu (badar aldiyn), eumdat alqariyi sharh sahih albukharii: dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut.

[67] aleayidi (muhamad), tawzif altarkib alquranii fi albayan alnabawii, dirasat balaghiati: aladab lildirasat allughawiat wal'adabiati, aleadad 12, disambir 2012m.

[68] alqirtajani (hazimu), minhaj albulagha' wasiraj al'udaba'i, tahqiq muhamad alhabib aibn alkhawjati, dar algharb al'iislamii, bayrut, ta2, 1981m.

[69] alqurtubiu, aljamie li'ahkam alqurani, tahqiq 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish: dar alkutub almisriat alqahirati, ta2, 1964m.

[70] alqazwini (alkhatibi) al'iidah fi eulum albalaghati, rajaeah wasahahah bahij ghazawi, dar 'iihya' aleulumi, bayrut, ta1, 1408h .

[71] alqayrawani (abin rashiqa), aleumdat fi sinaeat alshier wanaqdihi, tahqiq alnabawii shaelan: matbaeat alkhanji, alqahiratu, ta1 ,1420h .

[72] kazim (muthnaa) ،'uslubiat alhujaaj altadawulii tanzir watatbiq ealaa alsuwr almakiyati: kalimat lilnashr waltawzie, tunis, ta1, 2015m.

[73] alkafawi ('abu albaqa') alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati, tahqiq eadnan darwish wamuhamad almasri: muasasat alrisalati, bayrut, ta2, 1419h.
[74] lashin (musaa), fath almuneim sharh sahih muslamin, dar alshuruqi, alqahirati, ta1, 2002m.
[75] allabadi (muhamad) muejam almustalahat alnahwiat walsarfiati: dar alfalahi, emman, ta4, 2011m.
[76] lubun (ghustaf) ruh alaijtimae, tarjamat 'ahmad zighlul: wikalat alsahafat alearabiati, alqahirati, 2019m
[77] almaliqi, rasaf almabani fi sharh huruf almaeani, tahqiq 'ahmad alkharati: matbueat majmae allughat alearabiati, dimashqa.
[78] almaliki (eabdialeaziza), alhujaaj fi daw' alsunat alnabawiati, dirasat hadithiat mawdueiatu,jamieat alqasimi, kuliyat alsharieati, 1439h.
[79] almubarikifuri (sfi alrahman) minat almuneim fi sharh sahih muslmin, dar alsalami, alrayad, ta1, 1999m.
[80] almutanabiy ('abu altayib) diwan almutanabi, sharh eabd alrahman albarquqi: dar alkitaab alearabii, bayrut, ta2, 1357h .
[81] almuradi (alhasanu), aljinaa aldaani fi huruf almaeani, tahqiq fakhr aldiyn qabawatan, wamuhamad nadim fadil: dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1413h.
[82] almisiri (eabdalwhab), 'iishkaliat altahiuzu, ruyat maerifiat wadaewat liliajtihadi,ta1, almaehad aleali lilfikr al'iislamii, 1995m.
[83] almughamisi (amal) alhujaaj fi alhadith alnabawii, dirasat tadawuliati: aldaar almutawasitat lilnashri, tunis, ta1, 2016m.
[84] alnaajih (eaz aldiyni), aleawamil alhujajiat fi allughat alearabiati: maktabat eala' aldiyn lilnashr waltawziei, safaqis, tunis, ta1, 2011m.
[85] nahr (hadi), altarakib allughawiat fi alearabiat dirasat wasfiat tatbiqiatan: matbaeat al'iirshadi, baghdad, 1987m.
[86] alnawawiu, alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaju, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, ta2, 1392h.
[87] alharari (muhamad al'amin), alkawkab alwahaj sharh sahih muslmin, almsmma alkawkab alwhhaj walrrawd albahhaj fi sharh sahih muslim bin alhajaju, dar alminhaji, dar tawq alnajati, ta1, 2009 mi.
[88] Al-Walwi (Muhammad), Al-Bahr Al-Muheet Al-Thajjaj fi Sharh Sahih Al-Imam Muslim bin Al-Hajjaj, Dar Ibn Al-Jawzi, 1st edition, 1436 AH.